مفارقة الموقف في القرآن الكريم

دراسة في القصص القرآني

إعداد

الدكتور وليد سعيد عيسى

مجلة كلية دار العلوم العدد الحادي عشر يونيو ٢٠٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مهاد نظري

تعد المفارقة واحدة من السمات الأسلوبية التي يمكن الاعتماد عليها في تحليل النص،وقد تعددت تعريفات المفارقة وتنوعت، فمنها ما جاء قائما على بلاغة التعبير فقط ، من دون الوصول إلى لب القضية، ومن ذلك تعريف فرانسوا رابلييه " إن عالما بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور " ، و جوته " الذي يرى أن المفارقة هي ذرة الملح التي تجعل الطعام مقبولا "، و " فرويد " الذي يرى " أن المفارقة تطلق نوعا من اللذة التي من شأنها أن تساعد علي التخلص من المكبوتات، شأنها في ذلك شأن النكتة "، وقد ذهب ناقد معاصر إلى القول " إن عالما بلا مفارقة إما أن يكون جنة دنيوية، وفي هذه الحالة فإن مثل هذه الجنة لا يمكن أن تقوم؛ لعدم وجود ما يستفزها أو يستثيرها، وإما أن يكون جحيما دنيويا لا يسفر أبدا عن وجهه، وعالمنا من غير المحتمل أن يكون جنة دنيوية " . (١)

وهذه التعريفات تصلح أن تكون كلاما عاما عن وظيفة المفارقة، وليست تعريفا محددا لها، ومن تعريفات المفارقة ما يقوم على تحديد المفهوم العام لها مثل :

- التظاهر بالجهل .
- استخدام اللغة بطريقة مزدوجة .
- الاستخدام الهزلي للغة .
- التناقض بين الحدث المتوقع والحدث الداخلي .
- تناقض نتيجة الأحداث بغير الزمان المتوقع .
- قول شيء والإيحاء بقول نقيضه .

وقد جمع أحد الباحثين مجموعة من تعريفات المفارقة على النحو التالي :

- معجم أكسفورد: **المفارقة تعبير عن معنى معين بلغة نقيضة، ولهدف مختلف .**
- **أوجست شليجل : المفارقة شكل من النقيضة .**
- **د . سي . ميوميك : قول شيء دون قوله حقيقة .**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ صموئيل جونسون : طريق من طرائق التعبير يكون المعنى فيها مناقضا مضادا للكلمات .

ـ صموئيل هائنز : نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة، ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها؛ وذلك لأن التنافرات جزء من طبيعة الوجود .

ـ آلان رودي : المفارقة ليست معنى حقيقيا تحت آخر زائف، بل هي مسألة رؤية صورة مزدوجة على صفحة واحدة .

ـ رولان بارت : المفارقة شكوك تتحول إلى نوع من القلق مطلوب في الكتابة،ومن شأن هذا القلق إبقاء تلاعب الرموز/ "تعدد الدلالات" قائما .

ـ ماكس بيروم : المفارقة إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرا .

ـ مارك فينلي : المفارقة علامة منتجة لعدد غير محدود من العلامات

ـ البلاغيون الجدد : المفارقة صيغة من الصيغ الثلاث :

١ـ الباث يقول شيئا، بينما هو يعني شيئا آخر .

٢ـ الباث يقول شيئا، بينما هو شيء آخر يفهمه المتلقي .

٣ـ الباث يقول شيئا، بينما يقول في الوقت نفسه شيئا آخر . (٢)

إن هذا التعدد والتنوع في تعريفات المفارقة يمكن ضمه في نسج واحد تقسم فيه المفارقة قسمين : ـ

ـ المفارقة اللفظية .

ـ مفارقة الموقف أو الحدث أو المفارقة الدرامية . (٣)

المفارقة اللفظية :

هي لون من ألوان الخروج على النمط العادي للأسلوب، يأتي فيها المعنى المقصود مناقضا أو مخالفا للمعنى الظاهر، بما يجعلها لونا من ألوان " الانحراف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللغوي " الـذي يجعل بنية لغة ما تتسم بالمراوغة، وعدم الاستقرار، ومن ثم تتعدد الدلالات للبنية الواحدة. (٤) وذلك لكون المعنى المقصود فيها يأتي دومـا مناقـضا أو مخالفا للمعنى الظاهر، فالدال في المفارقة يؤدي مدلولين نقيضين : الأول مدلول حرفي ظاهر، والثاني مدلول سياقي خفي . (٥)

ويبدو أن التناقض بين المدلولين في المفارقة هو السمة الرئيسة فيها؛ لكون تعريفات المفارقة جميعها تركز عليها، وتعدها الأساس في تحديد معناها . (٦)

فميوميك ــ على سبيل التمثيل ــ يرى أن الصفة الأساسية في المفارقة هي وجود التـضاد بين المظهر والمخبر، فصاحب المفارقة يقول شيئا لكنه في الحقيقة يقول شيئا مختلفا تماما، وضحية المفارقة مطمئن أن الأمور هي على ما تبدو عليه، ولا يحس أنها في الحقيقة مختلفة تماما، وصاحب المفارقة يقدم مظهرا، ويدعي أنه لا علم له بحقيقته، بينما ينخدع الضحية بمظهر، وهو لا علم له بحقيقته . (٧)

والمفارقـة اللفظية من هذا المنطلق تمنح النص قوة وترابطا وعمقا؛ لكونها تدفع القارئ لإعمال فكره وعقله للبحث عن المعنى الحقيقي القابع وراء النص . (٨)

والمفارقـة اللفظية تستخدم في الأساس بصفتها أولا : وسيلة بلاغية إذ يؤكد صاحب المفارقة " زيفا " يعلم أنه يستطيع الاعتماد على السامع أن يناقض ذلك ذهنيا بقـول معـاكس صفته الغضب أو التسلية، ويكون هذا القول المعاكس بما يحمله من تـشديد هو المعنى الحقيقي الذي يريده صاحب المفارقة، ثانيا : دعابة متجهمة : فقد كتبت " جين أوستين " في شبابها رسالة إلى أختها تقول فيها " راق لي كثيرا إطراؤك رسـالتي الأخيـرة؛ لأنني أكتب للشهرة وحدها دون انتظار تعويض مالي " ثالثا : سـلاح هجـاء، أو بـشكل أعم، **لمصلحة الأخلاق، ويقدر صاحب المفارقة**، بوصفه هجّـاء، أو أخلاقيا أن **يعرض مفارقات موقف، وبخاصة مفارقات كشف عن الذات**، أو مفارقات تنافر . (٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفارقة الموقف / المفارقة الدرامية :

تعتمد المفارقة الدرامية على بنية العمل أكثر من اعتمادها على علاقة الدال والمدلول في الكلمات، وهو ما تقوم عليه المفارقة اللفظية . (١٠) فنلحظ المفارقة من خلال بنية الأحداث وتطورها داخل العمل الدرامي .

ويمكن تحديد مفهوم المفارقة الدرامية من هذا المنطلق، بأن شخصية ما تتصرف داخل العمل بطريقة تتسم بعدم العلم / الجهل بما يدور حولها، فمن مقتضيات هذه المفارقة أن تكون الشخصية / الضحية غير واعية أبدا أن حقيقة الأمور تختلف تماما عما تحسبها عليه . (١١)

ويكون المتلقي واعيا بالمصير الذي ستؤول إليه هذه الشخصية / ضحية المفارقة، إذا استمرت في جهلها بحقيقة الأحداث التي تغفل عنها، وتزداد المفارقة حدة ووضوحا عندما تكون هناك شخصية أخرى في العمل تشارك المتلقي وعيه بجهل الضحية " تبدو المفارقة الدرامية أبلغ أثرا عندما لا يكون المتلقي أو القارئ حسب، بل شخص آخر في التمثيلية أو القصة على وعي بجهل الضحية، فعندما يتحدث " أ " و" ب " عن " ج " المختفي عن " ب " وحده، هنا يكون " أ " و " ج " والمتلقي على وعي بجهل " ب " بدرجات تختلف علاقتها، كما يكون أثر المفارقة الدرامية أبلغ عندما تكون كلمات الضحية على غير علم منه، مناسبة للموقف الحقيقي الذي لا يعين، وأشهر مثال في هذا المجال دون شك اللعنة التي يستنزلها " أويديبوس " على نفسه :

وإنني لأدعو مخلصا

أن يبقى القاتل المجهول وشركاؤه

إن كان ثمة شركاء تحت وصمة العار . (١٢)

ومن ثم فالمفارقة الدرامية تستدعي استحضار ثلاثة عوامل لا بد من وجودها حتى تكون المفارقة مكتملة :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : توفر توتر في العمل القصصي، ويمكن خلق هذا التوتر من خلال وضع شخصية تتسم بالغفلة في مقابل أخرى أقوى منها، أو في مقابل قوة أخرى ... إنسانا أو إلها أو أية قوة مثالية أخرى .

ثانيا : وجوب كون الشخصية الأولى " الضعيفة الغافلة " جاهلة بحقيقة الظروف التي تحيط بها، وبهذا يكون هناك تناقض بين مظاهر الأشياء وحقيقتها .

ثالثا : كون الآخرين وهم المشاهدون أو الذين لا يشاركون في صنع الأحداث أو توجيهها على وعي تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة . (١٣)

ويمكن من هذا المنطلق أن يلمح التناقض/ " الأساس الأول للمفارقة " بين ما يظهر فعلا وما يتوقع ظهوره وحدوثه في العمل، بل إن التضاد في المفارقة الدرامية يصير أكثر تخصصا منه في المفارقة اللفظية، فالشخصية تنطق بما يكون له عندها معنى ما، ويكون له عند الآخرين / المتلقين معنى آخر، ومن هنا يأتي التناقض .

وقد يبدو التناقض بصورة أكبر وأوسع حينما يكون قائما بين الإنسان بآماله، ومخاوفه، وأعماله، وبين القدر العنيد الذي يحيط به، فيوفر هذا مجالا واسعا للكشف عن هذه المفارقة. (١٤)

ومن هنا يبرز الفارق بين المفارقة اللفظية والمفارقة الدرامية في كون الأولى تصدر عن المتكلم مباشرة، والثانية ينسج مبدع الدراما خيوطها على لسان أحد شخصياته. (١٥)

فالمفارقة الدرامية أداة تمهد لتقديم التعارض اللاذع في ثنايا الحبكة، وتضع المتلقي أو المشاهد في مهب قوي متصارعة، أعتى من تلك التي تتملك الشخصيات ذاتها، ومن هنا **تخلق المفارقة الدرامية لدى المتلقي إحساسا** بالمشاركة في تحديد مسار **الأحداث**. (١٦)

ويصبح الوعي بهذا **التعارض شرطا أساسيا في إدراك المفارقة** بنوعيها، ففي المفارقة اللفظية ــ مثلا ــ **قد يكون التضاد بين النص والسياق** فالعبارة المكتوبة " أنا شديد الولع بفلان" **لا تتصف بالمفارقة إلا عندما تكون في تضاد مع سياق** الحقائق، ولا يستطيع **تمييزها في إطار المفارقة إلا الذين يعرفون الحقائق** . (١٧)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن المفارقة قد تتشكل بوسائل درامية متعددة منهـا مثلا مبدأ " التواضع الـزائف " الـذي أرسـاه " سـقراط " من خلال محاوراته التي كـان يستدرج بها الخـصوم؛ لكـشف تناقـضاتهم عن طريق ادعـاء الجهل بالحقيقة، وسؤال الخصم عنهـا، هادفا إلى إثارة الشكوك لديـه في معتقده، أو الآراء التي يتبناهـا، ومن ثم يكـشف الخصـم أمام نفسه، ويطلعه على جهله وتعالمه، وبهذا يقع الخصم ضحيـة للمفارقـة، وهـذا مـا أطلـق عليه " ميوميك " مفارقة الاستخفـاف بالذات. فصاحـب المفارقة يخفي نفسه وراء قناع، فكلماته وحدها أو تعارضها مع ما نعرفه تنـتج المفارقة، وفيها يلبس صاحب المفارقة قناعا، لكنه قناع ذو أثر إيجابي في هيئة خفـاء أو " تقمص شخصية " ... فينزل من قدر نفسه، ويكون ما يعطيه من انطباع عن نفسه جزءا من وسيلة المفارقة لديه، ذلك هو الأسلوب الرئيس في المفارقة عند " سـقراط " الذي يقدمه " أفلاطون " في صورة امرئ يجلس مأخوذا عند قدمي حكيم، يـتلهف أن يـتعلم مـنه في آخر المطاف طبيعة الفضيلة والعدل والقداسة، امرئ لا يـستطيع فهم الأمور إلا على مستواه البسيط، بعملية مؤلمة من أسئلة بسيطة واضحة جوابها نعم أو لا " . (١٨)

وينبغـي أن يؤخذ في الاعتبار أن المفارقة الدرامية لا تتشكل خيوطها داخل العمـل الدرامـي هكذا مباشرة، بل لا بد لها من ممهدات؛ لتكون المفارقة مرتبطة بالنـسيج الأساسـي للعمل، لا أن تكون مجتلبة من خارجه، فلا بد للمفارقة أولا من مفاجـأة تقع لإحدى شخصيات العمل وتتحقق، وتؤدي هذه المفاجأة إلى انعقاد تشويق وتوقـع، وعـندما يصل هذا التشويق إلى ذروته يتحول إلى مفارقة درامية، وهذا ما مـثل لـه بشخص نائم استيقظ على صوت ارتطام في الحجرة المجاورة، هنا وقعت **مفاجـأة** مـا وتحققت، فإذا تناول المستيقظ مسدسا، وأخذ يترقب متوجسا وقع أقدام الدخـيل فإن **تشويقا** ما ينعقد، وربما استولى **التشويق على المتلقي الذي لا يعلم شيئا** عـن مـصدر الارتطـام ولا عواقبه، ومن **الواضح أننا ما زلنا في حالة من التوقع** الـشائق الذي لم يبلغ بعد ذروته إلا إذا كان **المتلقي على علم سابق بأن الدخيل الذي** يوشـك على مواجهة المسدس في يد رجل مرعوب **هو ابنه المطرود، وقد تسلل إلى**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغرفة دون أن يدري بما ينتظره، عندئذ يصل التوقع الشائق إلى الذروة، وينحول إلى مفارقة درامية . (١٩)

ومن ثم فالمفاجأة والتشويق خطوتان تسلم إحداهما إلى الأخرى وصولا إلى المفارقة الدرامية، التي تعد الخطوة الثالثة في هذا الإطار .

وبهذا المعنى الأساس تصير المفارقة المبدأ الأول في الدراما، من حيث إحداث الانكسار، وتغيير الاتجاه، إنها القوة التي تنبع منها وتعود إليها كل لحظات التحول الواضحة التي اصطلحنا على تسميتها انقلابات أو تحولات مسرحية، وكل الأشياء الصغيرة التي نسميها مفارقات تشي بهذه العلاقة المجازية المرسلة، التي تتسم بالحيوية، وهي علاقة تقوم على اتصال الجزء بالكل والعكس صحيح . (٢٠)

وعلى هذا الأساس فإن المفارقة الحقة هي تلك المفارقة التي تتغلغل في نسيج العمل، وتنتظم مشاهده، بل تتحكم في كيفية التفاعل معه، فهي ليست مجرد حيلة متكلفة في الحبكة، أو مجرد تموجات أسلوبية للغة . (٢١)

وهناك خصائص أساسية لابد من وجودها في كل مفارقة وهي : **التضاد** بين المظهر والمخبر، **والغفلة** المطمئنة المصطنعة لدى صاحب المفارقة، الفعلية لدى الضحية التي تقوم على أن المظهر ليس غير مظهر، **والأثر الكوميدي** . (٢٢)

وفي هذا المجال ينبغي التفريق بين المفارقة الدرامية ومفارقة الأحداث لورود تداخل بينهما بشكل أو بآخر، فقد ذهب أحد الباحثين إلى أن الفارق بينهما يكمن في أن مفارقة الأحداث يساير فيها جهل الضحية جهلا عند المتلقي، حيث يشارك المتلقي الضحية غفلتها، وحينما تتكشف الحقيقية فإنها تتكشف للضحية والمتلقي معا، ومن ثم لا يتولد نفس درامي لدى المتلقي، بينما يكون المتلقي في المفارقة الدرامية على وعي تام بالأحداث، وتكون الضحية فقط هي الغافلة الجاهلة عما يدور حولها من أحداث ومن ثم تحدث مشاركة درامية للجمهور في صنع الأحداث . (٢٣)

ويبدو أن هذا التفريق بين النوعين / المفارقة الدرامية ومفارقة الأحداث ليس صحيحا؛ وذلك أن " ميوميك " قد ذهب للقول بأن هناك اقترابا بين المفارقة الدرامية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومفارقة الأحداث " فمفارقة الأحداث يعبر الضحية فيها صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص، لكن تطورا غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته وآماله ومخاوفه و رغباته، ثم يحصل على ما كان قد تمناه مرة، ولكن في آخر المطاف وبعد فوات الأوان .... وهو يتخلى بعد إذن عما لا يمكن الاستغناء عنه، ولكي يصل هدفا بعينه يتبع دون علم منه تلك الخطوات التي تؤدي به بعيدا عن الهدف، وتكون الوسيلة التي يتجنب بها شيئا هي الوسيلة التي توصله إلى ذلك الشيء . (٢٤)

وقد مثل لذلك برواية " تاييس " لأناتول فرانس حيث نجد الناسك مطمئنا للاستقامة في روحه، فيتجرد لإعادة محظية إلى طريق الصواب، وبعد أن ينجح في ذلك يكتشف أنه لم يعد يعبأ بروح " تائيس "؛ لأنه هو أيضا قد انقلب في أثناء ذلك إلى مصاص دماء . (٢٥)

ومن ثم يتضح أن فكرة التناقض الموجودة في مفارقة الأحداث هي ذاتها الموجودة في المفارقة الدرامية، حيث تشتركان معا في أن الشخصية الضحية تكون جاهلة بحقيقة الأمور والأحداث بغض النظر عن المظهر .

غير أنه لابد أن يؤخذ في الاعتبار أن المفارقة تحقق لمراقبها شعورا بالتفوق والحرية والتسلية، فهي ترفع الإنسان فوق السعادة أو الشقاوة، الخير أو الشر، الموت أو الحياة، كما أن وعي صاحب المفارقة بنفسه بصفته مراقبا يميل إلى زيادة شعوره بالحرية وتوفير حالة من الصفاء أو الابتهاج أو ربما من الحبور، إن وعيه بغفلة الضحية يدفعه إلى أن يرى الضحية مقيدا متورطا، حيث ينعم هو بالحرية، مرتبطا حيث يكون هو غير ملتزم، مطمئنا سريع التصديق أو ساذجا حيث يكون هو منتقدا . (٢٦)

وعلى العموم فإن مراقبة الناس الذين لا يشعرون بوجود من يراقبهم تعطي متعة للمراقب، وتزداد هذه المتعة حينما تكون هذه المراقبة لأناس لا يشعرون أنهم في ورطة، أو أنهم على وشك الوقوع فيها، وعندما يشتد التعارض بين كون الضحية يفترض واثقا أنه حر التصرف، وأن الأمور ستجري كما لها أن تجري، وبين رؤية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشاهد له في هيئة تعيس أعمى مربوط إلى عجلة من الفعل لا يمكن ردها أو إيقافها، تكون المفارقة أبلغ وقعا. (٢٧)

المفارقة في التراث البلاغي العربي

ويبدو أن فكرة وجود مدلولين لدال واحد، الموجودة في المفارقة يمكن أن توجد تقاربا ما بين المفارقة وبعض فنون البلاغة في التراث العربي؛ لكونها تقوم على الفكرة ذاتها فكرة التناقض بين مدلولين لدال واحد، أو على أقل تقدير وجود وجه من أوجه التناقض بين المدلولين، ومن هذه الفنون على سبيل التمثيل:

تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وحقيقة هذا النوع أن يكون الإنسان آخذا في مدح، فيستثني في بعضه، فيعتقد السامع أن ما بعد الاستثناء يكون نوع ذم أو عيب في الممدوح، استثنى منه المادح في مدحه، فإذا تكملة الاستثناء توجب تأكيدا للمدح الأول لا قطعا له . (٢٨)

وقد مُثّل لهذا الفن بقول النابغة :

ولَا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاْعِ الكَتَائِبِ

وقول الآخر :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْر أَنَّـــــه ... جَوادٌ فَلا يُبْقِي مِن المَالِ بَاقِيَا

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيْقَـــهُ ... عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوْءُ الأَعَادِيَا (٢٩)

الهجاء في معرض المدح :

وحقيقته أن يقصد المتكلم هجاء شخص فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه، كقول بعضهم في بعض الأشراف :

لَهُ حَـقٌّ ولَيْسَ عَلَيْـهِ حَـــقٌّ ... وَمَهْمَا قَالَ فَالحَسَنُ الجَمِيْلُ

وَقَد كَانَ الرَّسُوْلُ يَرَى حُقُوقًـا ... عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُـوَ الرَّسُوْلُ

وقد علق " ابن أبي الإصبع " على الشاهد بقوله : فأما ألفاظ البيت الأول على انفرادها فلا تكاد تصلح إلا للمدح، ولا يفهم منها غيره، وأما البيت الثاني لو انفرد أيضا لما فهم منه مدح ولا هجاء، وكان إلى باب من الأبواب أقرب من هذين البابين،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكـــنه لما اقترن بالأول أهل نفسه وأخاه للهجاء، وعدل بألفاظهما عن الثناء، وحصر من اجتماعهما ما ليس لكل منهما على انفراده . (٣٠)

وقد أورد ابن الأثير الحلبي في جوهره قول المتنبي في وصف كافور :

ولِلّه سرٌ في عُلاك وإنّمَا كلامُ العدى ضربٌ من الهذيان

وعلـــق عليه بقوله " فهذا مدح يحتمل أن يكون مدحا بحكم أن علاك فيه سر لم يهبه غيرك، ويحتمل أن يكون هجوا، أي أنك غير مستحق للعلا، وإنما لله تعالى سر في تقديم من يصلح للتقديم ولا يكون أهلا للكرامة . (٣١)

الهزل يراد به الجد :

وهـــو أن يقـــصد المـــتكلم مدح إنسان أو ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب والمجون المطرب . (٣٢)

وهـــو موجود في النثر كما هو موجود في الشعر، فمن أمثلته في الشعر ما ورد عند كل من ابن الأثير الحلبي وابن أبي الإصبع قول الشاعر :

إذَا مَا تَمِيْمِيٌّ أتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُل عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ للضَّبِّ

وقد ذكر ابن أبي الإصبع أن الفاتح لهذا الباب " امرؤ القيس " يقول :

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالِ (٣٣)

أما مثاله في النثر فهو موجود عند أصحاب النوادر مثل : أشعب، وأبي دلامة، وأبـــي العيـــناء، ومزبد، ومن سلك مسلكهم، فقد حكى عن أشعب أنه حضر إعذار صنعه بعض ولاة المدينة ــ وكان مبخلا ــ فدعا الناس ثلاثة أيام، وهو يجمعهم على مائـــدة علـــيها جدي مشوي، فيحوم الناس حوله، ولا يمسه منهم أحد؛ لعلمهم ببخله، وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي، فقال له في اليوم الثالث : زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك . (٣٤)

ومـــنه كذلك قول : أبي دلامة " لما خرج في جنازة عمة المنصور، وجلس على القبر ينتظر مواراتها فقال له المنصور : ما أعددت لهذه الحفرة، فقال : أعددت لها عمة الأمير . (٣٥)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التهكم :

هو عبارة عن إخراج الكلام ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب . (٣٦)

وقد ذكر صاحب الطراز أن التهكم " دخوله كثير في كلام الله تعالى ورسوله وعلى ألسنة الفصحاء . (٣٧) وقد مثل له " الزركشي " بقوله تعالى " **ذُقْ إنَّك أنت العزيزُ الكريمُ** " وجعل بعضهم منه قوله تعالى " **لهُ مُعقّباتٌ منْ بيْن يديْه ومنْ خلْفه يحفظُوْنَهُ منْ أمْر الله** " مع العلم بأنه لا يحفظ من أمر الله شيء . (٣٨)

وقد فند " العلوي " صاحب الطراز الأوجه المختلفة التي يأتي عليها التهكم :

فأولها : أن يكون واردا على جهة الوعيد بلفظ الوعد تهكما، وهذا كقوله تعالى " **فبشّرْهُمْ بعذابٍ أليْمٍ** " **وقوله** " **بَشِّرِ المُنَافِقِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ عَذَابًا أَلِيْمًا** " فلفظ البشارة دال على الوعد، وعلى حصول كل محبوب، فإذا وصل بالمكروه كان دالا على التهكم؛ لإخراجه المحبوب في صورة المكروه.

وثانيها : أن تورد صفات المدح والمقصود بها الذم، ومثاله قوله تعالى " **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الكَرِيْمُ** " ؛ لأن المقصود هو الاستخفاف والإهانة، ولهذا ورد في حق من كان يدخل النار، والغرض منه الذليل المهان، ولكنه أخرجه هذا المخرج للتهكم .

وثالثها : قوله تعالى " **قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِيْنَ مِنْكُمْ** " وقوله " **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذِي يَقُوْلُوْنَ** " فما هذا حاله دال على القلة، والغرض هنا التكثير والتحقيق للعلم بما ذكره، وإنما أورده على جهة التهكم بهم والاستهانة بحالهم، حيث أسروا الخدع والمكر؛ جهلا بأن الله تعالى غير مطلع على تلك الخفايا، ولا محيط بتيك السرائر، فأورده على جهة التقليل، والغرض به التحقيق؛ انتقاصا بحالهم في ظنهم لما ظنوه من ذلك .

ورابعها : قوله " **رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسلِمِينَ** " فأورده على جهة التقليل، وأخرجه مخرج الشك، والغرض به التكثير، والتحقيق في حالهم تلك؛ لأنهم في تلك الحال يتحققون ويقطعون بأنهم لو كانوا على الإسلام قطعا ويقينا لما ينالون من العذاب، ويتحققونه من النكال، ولا خلاص عن ذلك إلا بالإسلام، فلهذا قطعنا بتحقيق المحبة والود للإسلام، وإنما أخرجه مخرج التهكم والاستهزاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخامسها : قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب " **إنك لأنت الحليم الرشيد** " لم يخرجوه عن جهة استحقاقه للمدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلا لهما، وإنما أخرجوه مخرج الاستهزاء والتهكم بحاله؛ تمردا واستكبارا، وغرضهم إنك لأنت السفيه الجاهل، حيث أمرهم بما أمرهم من الخير والمعروف، فأبوا إلا ما كان عليه الأسلاف، فلا جرم أخرجوه هذا المخرج من أجل ذلك، وليس له ضابط يضبطه، وإنما الجامع لشتات معانيه هو ما ذكرناه من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الحال، فلا بد من مراعاة ما ذكرناه، وإن اختلفت صوره، وكقوله تعالى " **لهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلْفِهِ يَحفَظُونَهُ مِن أَمرِ اللهِ** " والمعقبات هم الحرس حول السلطان يحفظونه في زعمه من أمر الله، فهو وارد على جهة التهكم؛ لأن أمر الله إذا جاء لا يحفظ عنه حافظ، ولا يمكن رده، ولا يستطاع دفعه بحال، ومن الأبيات الشعرية ما كان واردا على جهة التهكم كقول من قال في رجل يتهكم برجل محدودب الظهر :

لَا تَظُنَّنَّ هُدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا ... هِيَ فِي الحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الهِلَالِ

وَكَذَاكَ القَسِيُّ مُحْدَوْدِبَاتٌ ... وَهْيَ أَنْكَى مِنَ الظِّبَاءِ العَوَالِي

كَوَّنَ اللهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ ... مِنَ الفَضْلِ أَو مِنَ الأَفْضَالِ

فَأَتَتْ رَبْوَةً عَلَى طَوْدِ حِلْمٍ ... طَالَ أَو مَوجَةً بِبَحْرِ نَوَالِ

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الوَصْلِ بُدٌّ ... فَعَسَى أَنْ تَزُورَنِي فِي الخَيَالِ

فظاهر ما أورده مدح كما ترى؛ لما يظهر من صورته، وإنما أورده على جهة التهكم به والاستهزاء بحاله، وكقول امرئ القيس يصف كلبا :

فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِي النَّسَا ... فَقُلْتُ هَبِلْتَ أَلا تَنْتَصِرْ

فقوله فقلت هبلت ألا تنتصر تهكم بحاله في غاية اللطف والرشاقة؛ لأن ما فعله الكلب بالصيد هو غاية الانتصار . (٣٩)

تجاهل العارف :

حقيقة هذا الباب أن المتكلم إذا كان آخذا في كلامه وهو عالم بحقيقة ما هو متكلم فيه ثم يسأل عن بعضه وهو يعلم حقيقته؛ ليخرج كلامه إلى مخرج آخر تجاهلا بما هو عارف به؛ تلعبا بالفصاحة . (٤٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد حدد ابن أبي الإصبع هذا المخرج الآخر بأنه مخرج المدح أو الذم أو
يدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب أو التقرير أو التوبيخ . (٤١) ويأتي
بأن تسأل عن شيء تعلمه موهما أنك لا تعرفه، وأنك مما خالجك فيه الشك والريبة،
وتجهة عرضت بين المذكورين . (٤٢)

وقد ذهب ابن الأثير الحلبي إلى أن ما يخرج مخرج التقرير فكقوله تعالى "
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ " فهذا مخرج التقرير، وأما ما
يخرج مخرج التعجب فكقوله حكاية عن الكفار " أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ " فهذا مخرج
التعجب .

وأما ما يخرج مخرج التوبيخ فكقوله حكاية عن قوم شعيب " قَالُوا يَا شُعَيْبُ
أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ "، وأما ما تقدم
قولا وهو خارج مخرج المدح فكقول الشاعر :

وَاللهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّ صِفَاتِهِ ... مَلَكَ القُلُوبَ بِأَسْرِهَا فِي أَسْرِهِ
أَبِوَجْهِهِ أَمْ شَعْرِهِ أَمْ نَحْرِهِ ... أَمْ ثَغْرِهِ أَمْ رِدْفِـهِ أَمْ خَصْرِهِ

وقول الآخر :

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ ... بِفِي بَرْدٌ وَهْيَ فِي كَبِدِي جَمْرُ

وقول الآخر :

أَأَنْتَ أَمَرْتَ البَدْرَ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى ... وَعَلَّمْتَ غُصْنَ البَانِ أَنْ يَتَمَيَّلَا
وَحَرَّمْتَ يَوْمَ البَيْنِ وَقْفَةَ سَاعَةٍ ... عَلَى مُغْرَمٍ ظَنَّ الوَدَاعَ مُحَلَّلَا (٤٣)

على أن قول العرجي :

بِاللهِ يَا ظَبْيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ

وقول ذي الرمة :

أَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ ... وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ

هما الشاهدان اللذان دارا في كتب كل من تناول موضوع تجاهل العارف . (٤٤)

والملاحظ أن تجاهل العارف أقرب ما يكون إلى المفارقة السقراطية التي
مت الإشارة إليها آنفا حيث كان سقراط يتبنى في محاوراته صورة الرجل الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يدعـــي الجهل بأشياء لا يفتأ يسأل الآخرين عنها بهدف إثارة الشكوك لديهم فيما هم يعتقدون به . (٤٥)

ومن أبواب البلاغة التي تدخل تحت نطاق المفارقة أيضا في عكس الظاهر والمقلوب، ومخالفة الظاهر . (٤٦)

إن الناظر المتأمل لهذه الفنون البلاغية السابقة " تأكيد المدح بما يشبه الذم ـ الهجـــاء في معرض المدح ـ الهزل يراد به الجد ـ التهكم ـ في عكس الظاهر ـ المقلوب ـ ومخالفة الظاهر " ليلاحظ أنها تقوم على وجود مدلولين لدال واحد، أحد المدلولين ظاهر لا يقصد لذاته، والدال الآخر نقيض للأول، وهو المقصود . (٤٧)

وهـــذا ما يجعلها تقوم في الأساس على الفكرة التي تقوم عليها المفارقة، غير أن هـــذه الأبـــواب البلاغية لكونها تعتمد على خصائص الألفاظ فهي تنتمي للمفارقة اللفظـــية، أمـــا بـــاب " تجاهـــل العارف " فهو الباب الوحيد الذي لا يقوم على فكرة الـــدلالات المتناقضة للفظ، ومن ثم فهو يدخل تحت نطاق مفارقة الموقف / الدرامية؛ لكونه يعتمد على فكرة درامية في المقام الأول يسعى صانعها إلى إيقاع ضحية فيها .

وبهـــذا يمكنـــنا القول بغير قليل من الاطمئنان : إن المفهوم الذي قامت عليه فكرة المفارقة كان موجودا في فنون من البلاغة العربية القديمة، كما وجد كذلك في إبـــداعات العرب القدماء شعرا ونثرا، وأوضح نموذج يمثل توظيف المفارقة في بناء العمـــل الأدبـــي في التراث القديم هو فن " المقامات " هذا الفن الذي اعتمد المفارقة بنوعـــيها اللفظـــية والدرامـــية عنصرا من عناصر البناء فيه، وتجسدت فيه عناصر المفارقـــة " صـــانع المفارقة ـ الضحية ـ المراقب " بشكل لافت، كما ارتبطت فيه المفارقة بنسيج العمل وعدت لبنة من لبنات بنائه، مما يجعل فن المقامات مادة بحثية ثرة من هذا المنطلق، ومن ثم فإن عدم وجود المصطلح لا يدل على عدم وجود الفن ذاتـــه، خاصـــة مع النظر للأساس الذي قامت عليه هذه الفنون التي تعتمد بشكل أو بآخر على فكرة المفارقة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفارقة الدرامية في القصص القرآني :

لا بد أن يؤخذ في الاعتبار أن النص القرآني ليس نصا أدبيا وظف فيه العناصر الفنية رميا إلى أداء غرض فني مجرد، إنما لابد من النظر للقرآن الكريم على أنه كتاب دعوة وهداية وتشريع ودستور أمة اتخذ من الجانب الفني وسيلة من وسائله الرامية لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه . (٤٨)

فالقرآن الكريم له وسائله الناجعة لإبلاغ رسالته، منها التهديد والوعيد، ومنها الوعد والترغيب، ومنها كذلك تصوير مشاهد المؤمنين ومشاهد الكافرين، وقد اتخذ القرآن القصة وسيلة من ضمن هذه الوسائل لإبلاغ هذه الرسالة، ومن ثم " فليست القصة عملا فنيا مستقلا في الموضوع وطريقة العرض وإدارة الحوادث ". (٤٩) إنما هي مجرد وسيلة من شأنها أن تقرب المسافات بين النص ومتلقيه، وهذه الإشارة كان لابد من إيرادها قبل الشروع في تحليل القصة في القرآن من وجهة المفارقة؛ لكي لا يتوقع وجود حرص قرآني على الغرض الفني المجرد، إنما هو وجود ظواهر فنية معينة فيه تؤتي أكلها من دون أن تستحوذ على الغرض الأساسي .

فالقصة في القرآن مجرد وسيلة من وسائله المستخدمة لتحقيق أغراضه الدعوية وغيرها، وقد يجوِّز هذا بعض الخصائص التي توجد في القصة القرآنية ولا نجدها في غيره من مثل التكرار الذي قد يحدث للقصة الواحدة في أكثر من موضع .

وكذلك ورود القصة الواحدة مرة بإطناب وأخرى بإيجاز وغيرها من السمات التي يعول عليها في مناسبة الموقف الذي يستشهد فيه بالقصة، وذلك لأن أساليب القرآن تدور مع ما تتطلبه نواحي التوجيه فيه، فغاية القصص في القرآن ليست بحال من الأحوال مجرد الإعلام بما حدث للأمم والشعوب السابقة، إنما غايته أن يكون هاديا للمؤمنين إلى الطريق السليم، كما يختلف قصص القرآن عن أي قصص آخر في خلوه من الخيال والمبالغة التي تؤدي إلى إثارة العواطف وإلهابها وتجديد الرغبة في الاستمرار، مما يعد معينا لا ينضب للقصة في غير القرآن، وقد استعاض القرآن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عـن الخيال بأمور أخرى منها سحر بيانه وقوة أخذه ودقة اعتباراته في التصوير .

(٥٠)

إن مـا يمكـن قولـه عن العناصـر الفنية في القصـة القرآنية – بل في القرآن على وجه العموم – هو وجـود مؤالفـة بين الغرض الديني والغرض الفني بطـريقـة تجعل الفـن وسيلة لمخاطبـة الوجـدان بغيـة التأثيـر عليـه ليحسن استعداده لتلقي التأثير الديني ومن ثم تقبله . (٥١)

وفي سبيل الوصول لهذا الهدف يحرص القرآن الكريم على إبراز الخصائص الفنـية للأداة المستخدمة، وهذا ما تم فعلا مع القصة في القرآن، بما فيها من مفاجأة وتـشويق وحبكة وصراع وغيرها، وفي هذا الصدد لا يتوقع القارئ وجود مفارقات كبـرى فـي القـرآن مثل التي نجدها في الأعمال الدرامية الكبرى التي كان قوامها الأساسي هو المفارقة كأعمال " سوفوكليس " و" إيسخليوس " و " أريستوفانيس " و " دستوفيسكي " وغيرهم . (٥٢)

إنما تعد المفارقة في القرآن جزءا من البناء له تأثيره في الأحداث، وقد ترسم الأحـداث بـصورة تؤدي إليه لكن لم تقم القصة كاملة فيه على مفارقة كبرى إلا في القليل .

وقد تناول الدكتور : محمد العبد المفارقة في القرآن الكريم في كتاب بعنوان " المفارقـة القـرآنية، دراسـة فـي البنـية والدلالة " وقد اعتمد المؤلف في تحليله للنصوص القرآنية على نظرية الخطاب منهجا لدراسته للمفارقة في القرآن، فهو يرى أن المفارقة طريقة من طرائق استخدام اللغة في السياق النصي والسياق الخارج عن الـنص، وأن بنـية الدلالـة في خطاب المفارقة تنعقد على علاقة التضاد بين الدلالة الحـرفية الأولـى للمنطوق : لفظا أو مجموعة لفظية أو عبارة أو جملة أو ما فوق الجملـة، وبين دلالته المحولة التي يرشحها السياق بنوعيه السابقين، وهي هذه الدلالة التي يمكن أن نطلق عليها هنا اسم الدلالة المفارقية ". (٥٣)

كمـا أنـه يرى أن المفارقة تعد من زاوية " المعجمية التاريخية " عاملا من عـوامل الـتطور الدلالي للغة، من حيث إن اللفظ يكتسب معها معنى جديدا، هو من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معناه القديم بمنزلة النقيض، وذلك حين يكون الخطاب للتهكم ونحوه.... وقد بدا له
ن نظرية تحليل الخطاب هي الدعامة النظرية الأهم والأنسب التي يستند إليها
التطبيق والتحليل والتفسير في لغة المفارقة، فإذا كانت المفارقة ظاهرة سياقية في
أولياتها، فإن تحليل الخطاب في جوهره طريقة من طرق النظر إلى اللغة بما هي
مر في سياق . (٥٤)

إن اعتماد نظرية تحليل الخطاب دعامة للبحث تنظيرا وتطبيقا يجعل القارئ
يعي أن المؤلف يعتمد النمط الأول من أنماط المفارقة " المفارقة اللفظية " واعتماد
لغة فيها على مدلولين متناقضين للدال الواحد .

وقد أوضح المؤلف كذلك أنه يعني بتحليل النصوص المفارقية في ضوء
لمعطيات الفونولوجية : الفونيمات والمقاطع والمجموعة النغمية، والمعطيات النحوية
لمورفيم والكلمة والمجموعة اللفظية والعبارة والجملة الكبرى، والمعطيات
خطابية. (٥٥)

إن هذه الدراسة البنيوية للمفارقة في القرآن تقوم على تناول النمط الأول
للمفارقة " المفارقة اللفظية " وهذا ما يلاحظ من خلال الآيات القرآنية التي تناولها في
الكتاب وطريقة تحليلها، فهي آيات تقوم في مجملها على وجود ألفاظ لها مدلولان
متناقضان غالبا وهي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المفارقة اللفظية بأنواعها .

غير أن ما يمكن ملاحظته أن المؤلف لم يشر إلى وجود المفارقة الدرامية
في أثناء عرضه لأنواع المفارقة وأنماطها في القرآن الكريم، حيث يذكر في مدخل
الجزء التطبيقي من الكتاب قوله " تعرض المفارقة القرآنية بأنماطها المختلفة أسلوبا
من أساليب إنتاج الدلالة اللغوية في النص القرآني ... وتحدد دراسات المفارقة
الحديثة أشكالا رئيسة ثلاثة، هي : مفارقة النغمة، والمفارقة اللفظية، والمفارقة
البنائية ... ويدلنا استقراء النص القرآني على توفير حالات أخرى بالإضافة إلى ما
ذكرناه في النص القرآني... وقد عرفت هذه الأشكال والحالات الأخرى هنا باسم :
مفارقة الحكاية أو الإيهام والإلماع، ومفارقة السلوك الحركي، ويعني ذلك أن النص
القرآني قد عرف لخطاب المفارقة سبعة أنماط مختلفة : بنية ووظيفة .(٥٦)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومـــن ثم جاءت فصول الباب الثاني من الكتاب، المخصص لتحليل نصوص المفارقة في القرآن بالعناوين التالية :

ـ مفارقة النغمة

ـ المفارقة اللفظية .

ـ مفارقة الحكاية .

ـ المفارقة البنائية .

ـ الإلماع .

ـ مفارقة المفهوم أو التصور .

ـ مفارقة السلوك الحركي .

وتعني " مفارقة النغمة " عنده أداء المنطوق ـ على الكلية ـ بنغمة تهكمية، يعـــول علـــيها فـــي إظهار التعارض أو التضاد، بين ظاهر المنطوق وباطنه، بين سطحه وعمقه، بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن، ومثل لهذا النوع بقوله تعالى " **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الكَرِيْم** " (الدخان ٤٩) .

أمـــا " المفارقة اللفظية " فهي عنده شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما فـــي حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر ،ومثل لها بلفظ البـــشرى في قوله تعالى " **وَبَشِّرِ الذِيْنَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ** " (التوبة ٣) ، وما جاء على شاكلتها في القرآن الكريم " **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ** " (التوبة ٢٤ وآل عمران ٢١ والانـــشقاق ٢٢) ، وقـــوله " **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ** " (لقمان ٧ والجاثية ٨) . و قـــوله " **بَـــشِّرِ المُنَافِقِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا** (النساء ١٣٨) ولفظة " نفحة " في قوله " **وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُوْلُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَ** " (الأنبياء ٤٦) ، ولفظة " نزل " في قوله " **فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيْمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيْمٍ** " (الواقعة ٩٢)، وقـــوله " **هَـــذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّيْنِ** (الواقعة ٥١) ، وقوله " **إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلكَافِرِيْنَ نُـــزُلًا** " (الكهف ١٠٢) ، ومن هذا النوع كذلك قوله " **فَسَنُيَـــسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** " (الليل ١٠) وقوله " **فَاهْدُوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيْمِ**" (الصافات ٣٤) ....وغيرها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما " مفارقة الحكاية والإيهام " فهو خطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في الأمر نفسه، إنها حكاية زعم المخاطب أو المتحدث عنه في المفارقة، ومن ذلك قوله تعالى " **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ** " (الرعد ١٠) ، وقوله " **قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ** " (الأحزاب ١٨) ، وقوله " **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** " (البقرة ٢٤) ، وقوله " **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ** " (النحل ١٧) ، وقوله " **فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ** " (الأنبياء ٦٣) وغيرها .

أما " المفارقة البنائية " فلم يقدم المؤلف تعريفا واضحا لها إنما اكتفى بالحديث عن دورها في النص وهي مفارقة تدخل على النص وتوظف في تدعيم مخادعة النفس وتأكيدها والهدف من ذلك التعبير عن فكرة على لسان الآخر، ومنها في القرآن " **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** " (هود ٨٧) .

و" مفارقة الإلماع " : ملحظ أو إيماءة تلميحية تصوب إلى شخص أو شيء ما، قصدا إلى الانتقاص من قدره وتحقيره على وجه الخصوص ومنه في القرآن " **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** (الأنفال ٢٢) وقوله " **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** " (محمد ١٢) وقوله " **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** " (الأنعام ١٧٩) وقوله " **وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا** (مريم ٨٦)

أما " مفارقة المفهوم أو التصور " التي يبنى التضاد فيها ــ في نظره ــ على أساس التعارض بين موقف الضحية أو مفهومها للأشياء أو مسلكها، وهو عادة غريب وخاطئ ومسار انتقاد، وما يجب أن يكون عليه الأمر، وكلما بعد الدافع الظاهري المحرك لموقف الضحية وسلوكها عن حقيقة الأمر ومداره، اشتد التعارض وشحذت المفارقة، وقد اتخذت هذه المفارقة عنده صورا خمسة هي الإخبار عن التصور إخبارا صريحا، وحكاية قول الضحية، و المقابلة المباشرة بين قولين، و المقابلة بين فعلين أو سلوكين، و الاستفهام التعجبي والإنكاري التوبيخي، وقد مثل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للصورة الأولى بقوله تعالى " **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا** " (الحجرات ١٧) وقوله " **وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا** "(آل عمران ١٨٨)، وقوله " **ولا يحزنك الذين يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ** " (آل عمران ١٨٧) ، وقوله " **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ ولن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** " (الحج ٤٧) . وللصورة الثانية بقوله " **وَإِنَّ مِنكُم لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا** " (النساء ٧٢) ، وقوله " **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً** " (آل عمران ٢٤) ، وقوله " **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ** " (ص : ١٦) ومثل للصورة الثالثة بقوله " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** " (البقرة ١٣) ، وقوله " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** " (البقرة ١١)، أما الصورة الرابعة فمثل لها بقوله " **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ** " (النساء ١٠٨) ، وللصورة الخامسة بقوله " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** " (النساء ٤٩) .

أما " مفارقة السلوك الحركي " فهي ترسم صورة للسلوك الحركي لمن تقع منه أو عليه عناصرها ومكوناتها، وهي حركة عضوية أو حركة جسمية عامة تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية، وقد مثل لهذا النوع بقوله " **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ** " (البقرة ١٩)، وقوله " **وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ** " (آل عمران ١١٩) ، وقوله " **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الكِتَابِ** "(آل عمران ٨٧) .

والملاحظ أن الدكتور : محمد العبد قد جعل المفارقة اللفظية مجرد نوع من الأنواع السبعة غير أن تعريفها السالف الذكر ينتظم جميع أنواع المفارقة المذكورة، وهذا ما يجعل هذه الأنواع جميعها تنضوي تحت المفارقة اللفظية تعريفا، سوى النمط الأخير " مفارقة السلوك الحركي " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويؤكد ذلك اعتماد المؤلف على المفارقة اللفظية – في مقابل مفارقة الموقف أو المفارقة الدرامية – في تناوله للمفارقة في القرآن. هذا على الرغم من إيراده لبعض مفاهيم المفارقة الدرامية لكن من دون استثمار لها في التحليل : فهو يتحدث في المفارقة الثنائية عن اختلاف البطل الساذج أو على الأقل الراوي أو المتحدث الساذج . (٥٧)

غير أنه يورد شاهدها " **قَالُوا يَا شُعَيبُ أَصَلَاتُكَ تَأمُرُكَ أَنْ نَترُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ** " ويحلل النص معتمدا على التضاد فيه بين المظهر والمخبر، وهذه مفارقة لفظية .

وفي مفارقة المفهوم والتصور يتحدث عن عملية عقلية يقوم بها الفهم لإدراك المعاني المجردة أو تكوينها . (٥٨)

وهو يرى أن التضاد في هذا النوع يبنى على أساس التعارض بين موقف الضحية أو مفهومها للأشياء أو مسلكها ... وما يجب أن يكون عليه الأمر، وكلما بعد الدافع الظاهري المحرك لموقف الضحية وسلوكها عن حقيقة الأمر ومداره اشتد التعارض وشحذت المفارقة، إننا إذا رأينا أن الضحية أو إحدى الشخصيات تسلك سلوكا شنيعا ثم تدعي أنها شخصية نبيلة، فإن التناقض بين الفعل أو القول أو السلوك وبين التشخيص الفعلي يشير إلى المفارقة . (٥٩)

غير أن هذا المفهوم لم يستثمر لصالح المفارقة الدرامية، إنما عاد به المؤلف ثانية للمفارقة اللفظية من خلال المجيء بشواهد لا تتفق والمفارقة الدرامية، من مثل قوله تعالى " **يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَنْ أَسْلَمُوا** "، وقوله " **وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا** " وقوله " **وَلَا يَحْزُنْكَ الذِينَ يُسَارِعُوْنَ فِي الكُفْرِ** " وقوله " **وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالعَذَابِ** .. " وهي إن صلحت فإنما تصلح شواهد على المفارقة اللفظية .

إن ما يمكن ملاحظته على طريقة التحليل في الكتاب أن المؤلف يسهب في كثير من الأحيان في التحليل، ويستطرد خارجا عن نطاق التحليل المفارقي للنص، من ذلك تمثيلا تحليله لقوله تعالى " **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الكَرِيْمُ** " فقد أورد تحليلا صوتيا، ومقطعيا، ونبريا، وصرفيا، ونحويا، ودلاليا، وتنغيميا، وتحدث عن النغمات الهابطة والأخرى الصاعدة والمتوسطة والمنخفضة التي تميز بها النص، وتناول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قضايا الائتلاف الدلالي بين الألفاظ، والفارق بين " الصب " و " السكب "، وعرج على ذلك على مواطن ورود الذوق مع العذاب في القرآن، وسبب اختيار الذوق دون مرادفاته، وسبب حذف مفعول الفعل " ذق" وتحقيقه للتماسك النصي، وخصوصه التعريف بأل في العزيز الحكيم ..... وغيرها من الأمور، كل ذلك من دون أن يكور لما أورده علاقة بقضية المفارقة التي هي محور القضية، وقد كان الأحرى بوظف هذا التحليل؛ ليسير في طريق المفارقة أما أن يكو ن تحليلا منبت الصلة عن فكرة المقابلة فهنا تكمن المشكلة . (٦٠)

وفي هذا الصدد يطيب لنا أن نستكمل هذه الفكرة التي أقدم عليها الدكتور محمد العبد، وذلك بتناول مفارقة الموقف / " المفارقة الدرامية " في القرآن الكريم، بوصفها عنصرا من عناصر البناء في القصة القرآنية، بناء على التأصيل النظري الذي تم في الجزء الأول من البحث، فقد اتضح أن المفارقة الدرامية تعتمد على بنية العمل، وتطور الأحداث داخله، وقوامها وجود شخصية / ضحية تتصرف داخل العمل بطريقة تتصف بالجهل بما يدور حولها، مما يجعلها على غير وعي بما سيؤول إليه مصيرها، في حين أن المتلقي / مراقب المفارقة يكون على وعي بجهل الضحية، وبالمصير الذي ستؤول إليه إذا استمرت في جهلها .

وقد لوحظ أن القصص في القرآن الكريم قد اعتمد في جانب منه على توظيف هذا الأمر بطرائق متعددة.

ومن ذلك قصة "**أصحاب الجنة** " الوارد ذكرها في القرآن الكريم في سورة " القلم" **إِنَّا بَلَوْنَاهُم كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَلَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ** (سورة الملك ١٧:٢٧) (٦١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن خيوط هذه القصة ترتسم في جو من المفارقة فأصحاب الجنة يسعون أمرا يستهترون فيه على قطع ثمار الحديقة مبكرين ، حتى لا يراهم أحد فأصدق الأصدقاء الثمار وحرمان الفقراء و المساكين حقهم فيها . (٦٢)

وعلى الجانب الآخر هناك تدبير إلهي بتدمير الثمار ؛ لتلقينهم درسا جزاء ما فعلوه فيسلط الله أحد جنوده/ الطائف فيدمر الثمار . (٦٣)

إن أصحاب الجنة الآن يستعدون لجني الثمار بسرعة دون أن يشعر بهم أحد، فيسرعون في تجهيز الوسائل المعينة على ذلك من أدوات الجني والنقل، بل إنهم يتحاقرون في كلامهم ويتناجون؛ حتى لا يسمعهم أو يشعر بهم أحد، من دون علم منهم يحدث لجنتهم وهم نائمون، وهنا تكمن المفارقة، ثم تأتي لحظة الكشف حينما يفاجأ أصحاب الجنة مع الحقيقة بهذه الصورة التي آلت إليها جنتهم، فقد خربت الجنة، وصارت ثمارها أثرا بعد عين . (٦٤)

إن متلقي القصة يعلم هنا ما لا يعلمه الشخوص / الضحية، فقد أخبر القرآن أن الطائف دمر الحديقة، ومن ثم تحقق شرط الوعي بالنسبة للجمهور بما لا تعيه شخصيات القصة، بل إن المراحل التي تتشكل خيوط المفارقة الدرامية من خلالها : " التوتر، المفاجأة، التشويق " قد تحققت في هذه القصة بوضوح، فالتوتر يكمن في أن أصحاب الجنة قرروا أن يغيروا ما كانوا عليه ــ من قبل ــ من إعطاء الفقراء حقهم في الثمار، وَغَدَوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِيْنَ " أي على حنق على هؤلاء الفقراء "، وتأتي المفاجأة عندما يأمر الله أحد جنوده بتدمير الحديقة، وتتطور هذه المفاجأة إلى تشويق ينشأ من عدم علم الأبطال بذلك، ثم تأتي اللحظة التي يرى فيها هؤلاء ما آلت إليه حديقتهم ومن ثم تتحق المفارقة .

وقد ارتسمت خيوط الفكرة ذاتها بنفس الوسيلة الفنية / المفارقة، لكن لتحقيق مختلف دينـي مختلف في قصة " **صاحب الجنّتين** " الوارد ذكرها في سورة الكهف " **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو ظالمٌ لنفسه قال ما أظنُّ أنْ تبيدَ هذه أبدًا * وما أظنُّ السَّاعةَ قائمةً ولئن رددتُ إلى ربّي لأجدنَّ خيرًا منها منقلبا * قال له صاحبُهُ وهو يحاورُهُ أكفرتَ بالذي خلقك مِنْ ترابٍ ثمَّ منْ نطفةٍ ثمَّ سوّاك رجلًا * لكنَّ هو اللّه ربّي ولا أشركُ بربّي أحدًا * ولولا إذ دخلتَ جنّتك قلتَ ما شاء اللهُ لا قوّةَ إلا باللهِ إنْ ترنِ أنا أقلَّ منك مالًا وولدًا * فعسى ربّي أنْ يؤتيَنِ خيرًا منْ جنّتك ويُرسلَ عليها حُسبانًا من السّماء فتصبحَ صعيدًا زلقًا * أوْ يُصبحَ ماؤُها غورًا فلنْ تستطيعَ لهُ طلبًا *وأُحيطَ بثمره فأصبحَ يُقلّبُ كفّيه على ما أنفقَ فيها وهيَ خاويةٌ على عُروشها ويقولُ يا ليتني لمْ أُشركْ بربّي أحدًا * ولمْ تكنْ لهُ فئةٌ ينصرُونَهُ منْ دُونِ اللهِ وما كانَ منْتصرًا" (الكهف ٣٢ : ٤٣) .

لقد ارتسمت صورة الجنتين مكتملة في ازدهار وفخامة، ويبدو أن صاحب الجنتين قد استمد فخامته وزهوه من ازدهار جنتيه وفخامتهما، غير أن القرآن قد رسم صورته بما فيها من زهو وبطر وتعال وازدهاء، وقد وصلت به الحال لظنه أن هذه النعمة لن تزول أبدا، وتطور الأمر لنكران قيام الساعة، وحتى إن قامت فسوف ينال في الآخرة ما هو خير منهما، ويكون له هناك أحسن من هذا الحظ " قلولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا " وقد كان يقول كل هذا ويتصرف كل هذا التصرف مع عدم وعي بما سيؤول إليه مصيره؛ لكونه لا يعلم ما ينتظر جنتيه من تدمير وفناء، وهنا تكمن المفارقة، فهذه الشخصية / الضحية يحدوها الجهل بما حولها، وترتسم خيوطها من هذا المنطلق، على الرغم من أن صاحبه قد نبهه لخطورة موقفه وإمكانية إرسال الله حسبانا من السماء على الجنتين . (٦٥)

إن التوتر قد تحقق عندما جحد الرجل نعمة الله عليه فقد كان من الطبيعي أن يقابل نعمة الله بالشكر وزيادة الإيمان بدلا من الجحود والكفر، وقد أحدث هذا التوتر مفاجأة للمتلقين تطورت إلى تشويق تمثل في انتظار المتلقين المصير الذي سوف يواجهه هذا الرجل المعاند بعدما تم التنبيه من قبل شخصية الصاحب المؤمن لخطورة ما يقوم به .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن ما يمكن ملاحظته على هذه المفارقة أن المتلقي قد شارك الضحية في جهلها بحقيقة الأحداث وما سيؤول إليه مصير الضحية، وقد بدأ تكشُّف الأمور للضحية والمتلقي معا

ومن القصص القرآني الذي اعتمد المفارقة وسيلة في بنائه الدرامي قصة **أصحاب الكهف** " الوارد ذكرها في سورة الكهف " **أَمْ حسبت أن أصحاب الكَهْف والرَّقِيمِ كانُوا منْ آياتنَا عَجبَا * إذْ أوَى الفتْيةُ إلى الكهْف فقالُوا ربنا آتنا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وهيئ لنَا منْ أمْرنَا رَشَدًا * فضَربْنَا على آذانهم في الكهْف سنيْن عَددًا * ثُمَّ بعَثْنَاهُمْ لنعْلَمَ أيُّ الحزْبَيْنِ أحْصَى لمَا لبثُوا أمَدا * نَحْنُ نقُصُّ عليْك نَبأَهُمْ بالحق إنَّهُمْ فتْيَةٌ آمَنُوا بربِّهِم وزدْنَاهُمْ هُدًى * وربطْنَا على قُلُوبهم إذْ قامُوا فقَالُوا ربُّنَا ربُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لنْ ندْعُوَا منْ دُونه إلَهًا لقَدْ قُلْنَا إذًا شططا * هؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخذُوا منْ دُونه آلهَةً لوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهم بسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فمَنْ أظْلَمُ ممَّنْ افْترَى عَلَى الله كَذبًا * وَإذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم ومَا يَعْبُدُونَ إلَّا الله فَأْوُوا إلَى الكَهْف يَنْشُرْ لَكُمْ ربُّكُمْ منْ رَحْمَته ويهيئ لكُمْ منْ أمْرِكُمْ مرْفَقَا * وتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاورُ عَنْ كَهْفهم ذَاتَ اليَمِيْنِ وَإذَا غَربَتْ تَقْرضُهُم ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ في فَجْوَةٍ منْهُ ذَلكَ منْ آيَات الله مَنْ يَهْد الله فَهُوَ المُهْتَد ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجدَ لَهُ وَليًّا مُرْشدًا * وتَحْسَبُهُم أيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ونُقَلِّبُهُم ذَاتَ اليَمِيْنِ وذَاتَ الشِّمَالِ وكَلْبُهُم بَاسطٌ ذرَاعَيْه بالوَصيْد لَو اطَّلَعْتَ عَلَيْهم لوَلَّيْتَ منْهُم فرَارًا ولَمُلئْتَ منْهُم رُعْبًا * وكَذَلكَ بَعَثْنَاهُمْ ليَتَسَاءلُوا بَيْنَهُم قَالَ قَائلٌ منْهُم كَمْ لَبثْتُمْ قَالُوا لَبثْنَا يَوْمًا أو بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا ربُّكُم أعْلَمُ بمَا لَبثْتُمْ فَابعَثُوا أحَدَكُم بوَرقكُم هَذه إلَى المَدينَة فَلْيَنْظُر أيُّهَا أزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتكُمْ برزْقٍ منْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعرَنَّ بكُم أحَدًا * إنَّهُم إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُم يَرْجُمُوكُم أو يُعيْدُوكُم في ملَّتهم ولَنْ تُفْلحُوا إذًا أبَدًا ..** (الكهف ٩: ٢٠)

حيث يخبر القرآن فيها عن أولئك الفتية الذين ساءهم ما عليه أباؤهم من عبادة الأصنام والطواغيت والذبح لها، وقد كان لهم ملك عتيد يقال له : دقيانوس وكان يأمرهم بهذه الأمور، ويحثهم عليها، ويدعوهم إليها، وقد خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم في أحد أعيادهم، ورأوا ما عليه القوم من ضلال، ومن ثم جمعهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رفضهم عبادة قومهم، واتفقوا على نبذ الكفر، واتخذوا لهم معبدا، فعرف بهم قومهم، فوشـوا بأمـرهم إلى ملكهم الذي استدعاهم وتهددهم وتوعدهم، فتوصلوا إلى الهرب بدينهم والفرار من الفتنة، فخرجوا إلى الكهف فآووا إليه وأخذ القوم يبحثون عنهم، ثم تأخـذ خيوط المفارقة في الارتسام حيث يضرب الله على آذان هؤلاء الفتية فينامون نـوما عميقا لمدة طويلة، حددها القرآن بثلاثمائة وتسعة أعوام، ولما استيقظوا ظنوا أنهـم قد ناموا نوما عاديا استغرق يوما أو بعض يوم، وكانوا جاهلين بحقيقة الأمور، وبهـذه الفتـرة الطـويلة التي قضوها نائمين، لقد وقع أصحاب الكهف ضحية لهذه المفارقـة، وقد تعاورت الشواهد كلها على التأكيد على إيقاعهم ضحية لها؛ ذلك " أن شيئا من هيئتهم لم يتغير، فقد كانت أبدانهم صحيحة، وأشعارهم، وأبصارهم، لذلك لم يفقدوا شيئا من أحوالهم وهيئاتهم " . (٦٦)

وتـستمر الأحـداث، ويتـصرف أصحاب الكهف / ضحية المفارقة جاهلين بحقيقتها غافلين عنها، لكن المتلقي على علم بها، وهذا ما يزيد المفارقة حدة وتأثيرا، فقد أرسلوا واحدا منهم ــ ببعض دراهم كانت معهم قد استصحبوها لحاجتهم إليها ــ لاستجلاب طعام لهم من المدينة، وقد نصحوه أن يذهب خفية؛ ظنا منهم أن الناس ما زالـوا يبحثون عنهم، ولا يعلمون أن الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وأمة بعد أمة . (٦٧)

ومـع هـذه الشخصية تبدأ المفارقة ذروتها من خلال حدوث مفاجأة أذهلت الفتـى وجعلـته يشك في قواه العقلية، فقد هاله التبدل الشديد الذي أصاب المدينة في مبانـيها وسـاكنيها، وجعـل يحادث نفسه قائلا " لعل بي جنونا أو مسا أو أنا حالم، ويقـول : والله ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة على غير هذه الصفة . (٦٨)

إن التـشويق هنا يبلغ ذروته مما يجعل الفتى/ الضحية يقرر التعجيل بشراء الطعـام والعودة للكهف، ومن ثم تبدأ الأحداث في التطور خطوة خطوة، حينما يدفع الفتـى مـا معه من دراهم للرجل الذي اشترى منه الطعام، فلما رآها الرجل أنكرها وأنكـر ضربها، فدفعها إلى جاره، والفتى يستنكر ما يحدث، وقد هاله أن ظن الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنه قد وجد كنزا، فسألوه عن شخصه، فأجابهم أنه من أبناء القرية وعهده فيها بالأمس وفيها الملك دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون، وتعد هذه مفارقة أخرى تولدت من المفارقة الأساسية، غير أن الضحية فيها هم أهل البلدة الذين جاءت تصرفاتهم بناء على جهلهم بحقيقة الأمور، في حين أن المتلقين / مراقبي المفارقة على علم بما لا يعلمه هؤلاء، ومن ثم رفعوا أمره للملك الذي كان مسلما، فأعلمه الفتى بقصتهم، وذهبوا جميعا معه، ودخلوا الكهف، وسلم الملك على الفتية، وآنسهم بالكلام ....ثم عادوا إلى مضاجعهم، وأسلموا أرواحهم لبارئها .

وهذه قصة العزير " **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " (البقرة ٢٥٩) .

تقوم على فكرة قصة أصحاب الكهف نفسها ، حيث يوظف فيها القرآن المفارقة الدرامية، فيتصرف العزير/ الضحية من دون علم بالأحداث، ذلك أنه لما رأى القرية الخربة وجدرانها الساقطة على عرصاتها، وما فيها من عظام بالية، تساءل " أنى يحيي هذه الله بعد موتها " وهنا يبدأ التوتر في القصة، وهو الخيط الأول من خيوط مفارقة تنسج؛ ليقع العزير ضحية لها، حيث يرسل الله له ملك الموت فيقبض روحه فيموت مائة عام، ثم تدب الروح ثانية في عزير ليظن أنه ما نام إلا يوما أو بعض يوم، وقد أكدت الظواهر المحيطة به هذا الأمر؛ لكونه لم تتغير هيئته ولا شكله، كما أن طعامه / " وكان طعامه عنبا وتينا وعصيرا " لم يحدث له تغير، غير أن المفارقة تتكشف عندما يخبر الله عزيرا أنه قد مات مائة عام، والدليل أن حماره استحال عظاما بالية، مما يدل على طول الفترة التي قضاها نائما / ميتا .
(٦٩)

إن المفاجأة قد انعقدت هنا حينما أمات الله العزير، وتطورت المفاجأة إلى تشويق حيث يستعد المتلقي / مراقب المفارقة لمتابعة رد فعل " عزير " حينما يستيقظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من سباته العميق، ومن ثم تحدث المفارقة في اللحظة التي يتوقع فيها الضحية أنه لو لبث بعض يوم أو يوما على الأكثر، إننا نعرف ما لا يعرفه "عزيز"، ومن ثم نعيش التشويق في انتظار رد فعل الشخصية الضحية .

وقد وظف القرآن المفارقة كذلك في عرضه لبعض قصص الأنبياء، ولعل نموذج على هذا التوظيف " **قصة يوسف** " التي أفرد لها القرآن سورة كاملة هي سورة "يوسف" فقد تخللت المفارقة نسيج القصة في أكثر من مشهد من مشاهدها حتى إنه ليمكننا القول إن القصة قد قامت في أساسها على مفارقة كبرى، امتدت من البداية للنهاية معتمدة في ذلك على مجموعة من المفارقات الجزئية، وتأتي المفارقة الأولى عندما يحاول إخوة يوسف إيقاع أبيهم ضحية خدعة اتفقوا عليها " **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ... فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** " (يوسف ٦ : ١٨) .

فقد ظن الإخوة أن أباهم يفضل يوسف / الأخ غير الشقيق عليهم، فأرادوا التخلص منه فاحتالوا على أبيهم طالبين منه أن يبعث يوسف معهم إلى المرعى ليلعب وينشط، وانطلت الحيلة على الرجل، وأرسله معهم، فألقاه الإخوة في البئر، وأخذوا ينسجون خيوط الخدعة، فلطخوا قميص الغلام بدم شاة ذبحوها، وعادوا إلى والدهم الذي هاله ما رأى، ووقع ضحية هذه المفارقة . (٧٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمـــا المفارقـــة الثانية فقد رسمت خيوطها هذه المرة بخدعة قامت بها امرأة العزيـــز، وكـــان الـــضحية زوجها العزيز، "وراودتْهُ التي هُو في بيْتها عنْ نفْسه وغلَّقَـــت الأبْـــوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إنَّهُ ربِّي أحْسن مثْوَاى إنَّهُ لا يُفْلحُ الظَّالمُـــونَ * ولَقَـــدْ همَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لوْلا أنْ رَأى بُرْهان ربِّه كذلكَ لنصْرف عنْهُ السُّوْءَ وَالفَحْشَاءَ إنَّهُ منْ عبَادنَا المُخْلَصينَ * وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَميْصَهُ منْ دُبُر وَألْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَاب، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهْلكَ سُوْءًا إلَّا أنْ يُسْجَنَ أوْ عذَابٌ أَلـــيْمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ منْ أَهْلِهَا إنْ كَانَ قَميْصُهُ قُدَّ منْ قُبُلٍ فَـــصَدَقَتْ وَهُـــوَ منَ الكَاذبيْنَ * وَإنْ كَانَ قَميْصُهُ قُدَّ منْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ منَ الـــصَّادقيْنَ فَلَمَّـــا رَأى قَميْـــصَهُ قُدَّ منْ دُبُرٍ قَالَ إنَّهُ منْ كَيْدكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظيْمٌ" (يوسف ٢٣: ٢٦) .

فالقـــصة تخبـــرنا أن العزيـــز لمـــا رأى نتيجة موقف الاستباق بين يوسف وزلـــيخا، وتيقـــنت المـــرأة أن أمرها قد فضح، رمت يوسف بالخيانة، ومحاولة فعل الفاحـــشة معهـــا، وأنها امتنعت عليه، ورفضت خيانة زوجها، وقد وقع الرجل فعلا ضـــحية لهذه الخدعة التي نسجت خيوطها المرأة ببراعة، وحاول إيذاء يوسف، لولا أنه دافع عن نفسه بشدة وقال " هي راودتني عن نفسي " فأقام الرجل محاكمة ليوسف كان منها ما كان من براعته .

ثم تأتي المفارقة الأساسية في القصة هذه المفارقة التي نسجت خيوطها على يد يوسف نفسه وكان ضحيتها إخوته " وَجَاءَ إخْوَةُ يُوْسُفَ فَدَخَلُوْا عَلَيْه فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَـــهُ مُنْكرُوْنَ * ولَمَّا جَهَّزَهُمْ بجَهَازهمْ قَالَ ائْتُوْنِي بأَخٍ لَكُمْ منْ أَبيْكُمْ أَلا تَروْنَ أَنِّي أُوفـــي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزلينَ فَإنْ لَمْ تَأْتُوني به فَلا كَيْلَ لَكُمْ عنْدي وَلا تَقْرَبُونِ * قَالُـــوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإنَّا لَفَاعلُوْنَ * وَقَالَ لفتْيَانه اجعَلُوا بضَاعَتَهُم في رحَالهم لَعَلَّهُم يَعرفُونَهَا إذَا انقَلَبُوا إلَى أَهلهم لَعَلَّهُم يَرجعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إلَى أَبيْهم قَالُوا يَا أَبَانَا مُنعَ منَّا الكَيْلُ فَأَرْسلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإنَّا لَهُ لَحَافظُوْنَ * ... قَالَ لَنْ أُرْسلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوْني مَوْثقًا منَ اللهِ لَتَأْتُنَّني به إلَّا أَنْ يُحَاطَ بكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَـــى مَا نَقُولُ وَكيْلٌ * ... وَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَى يُوْسُفَ آوَى إلَيْه أَخَاهُ قَالَ إنِّي أَنَا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * قالوا تالله لقد علمت ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا كاذبين * قالوا فما جزاؤه إن كنتم صادقين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ..... قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون " (يوسف ٧٠ : ٩٢) .

وقد بدأت هذه المفارقة حينما ذهب إخوة يوسف ليحصلوا على الغلال من مصر، فقابلهم يوسف وقد عرفهم من دون أن يعرفوه هم فأخذ ينسج خيوط مفارقته بأن حادثهم، وأكرم وفادهم، وأوفى كيلهم، وحمل لهم أحمالهم ثم قال : لا تأتوا في المرة القادمة إلا ومعكم أخوكم هذا الذي ذكرتم — وكان إخوته قد أعلموه بأمر أخ لهم لم يأت معهم — وإن لم تأتوني به فليس لكم عندي ميرة، وقد وقع الإخوة ضحية للمفارقة وأخذوا يتصرفون بناء على عدم علمهم بحقيقة الأحداث والأمور، مع علم المتلقي/ مراقب المفارقة بها، وأخذوا يراودون الأب / يعقوب؛ كي يرسل معهم بنيامين؛ حتى يتمكنوا من الحصول على الميرة في العام المقبل، ولو كانوا يعلمون حقيقة الأمور ما كان تصرفهم بهذه الطريقة .

واستطاع الأخوة إقناع الأب بأخذ بنيامين معهم، فأخذ يوسف يكمل خيوط مفارقته التي أوقع فيها إخوته ضحية لها؛ حتى يأخذ أخاه منهم، ويضمه إليه، ومن ثم أمر فتيانه أن يضعوا سقاية الملك الذهبية في رحل بنيامين، ثم اتهمهم بسرقتها ووقع الإخوة للمرة الثانية ضحايا للمفارقة، فقد انطلت عليهم الخدعة وأخذوا ينفون السرقة عن أنفسهم، بل إنهم حكموا على أنفسهم أن من وجدت عنده أن يأخذه العزيز . (٧١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد سـاقتهم المفارقـة إلى ما كان يدبره يوسف ، فما كان منه إلا أن
المتعة وأخرجها من متاع بنيامين والحجرة عنه، وتسمر الأخوة وبدت
نظرة عن جهل بحقيقتها، فيستعطفون يوسف أن يعفو ويحاسبهم بدلا من بنيامين،
حرصا على أبيهم من الهلاك لو علم بما حدث، غير أن يوسف يرفض ويأمرهم
ويعود الإخوة لأبيهم، غير أن كبيرهم يصر على البقاء حتى لا يواجه مع أخيه
رعايته على المحافظة على بنيامين .

ويأمرهم الأب بالعودة، فيعودون ويلتقون يوسف، ومن ثم تحدث لحظة
تكشف، حينما يذكرهم يوسف بقصته معهم، فيعرفه إخوته، ويعترفون أمامه بخطئهم
وتستمر الأحداث.

إن الملاحظ على المفارقات السابقة أنها جميعا متغلغلة في نسيج القصة
وليست مختلقة أو مجتلبة عليها من خارجها، والدليل أنها قد جاءت في سياقها
الطبيعي مسبوقة بالخطوات الطبيعية التي تؤدي إليها " التوتر ــ المفاجأة ــ التشويق
فقد حدث التوتر في المفارقة الأولى في إحساس الإخوة بتفضيل الأب يوسف
عليهم وحبه له أكثر منهم، و قاد هذا التوتر إلى حدوث مفاجأة هي إقدامهم على
التخلص منه، ثم يأتي التشويق عندما يلقيه الإخوة في البئر، ويلطخون ثوبه بدم شاة
ذبحوها، وتحدث المفارقة عندما يحاول الإخوة خداع الأب، وبهذا تنعقد المفارقة
وتستمر .

وفي المفارقة الأخرى نجد أن التوتر يحدث في اللحظة التي تقرر فيها امرأة
العزيز مراودة يوسف عن نفسه، وتستعين بالوسائل المختلفة على ذلك من تجميل
نفسها وتغليق الأبواب، وتحدث المفاجأة في امتناع يوسف واستماتتها في جلبه إليها
حتى يلوذ بالجري، فتجرى **هي خلفه محاولة الإمساك به، وتفلح فعلا بالإمساك** بثوبه،
لكنه يندفع فيتقطع الثوب **من شدة جذبها له، إن هذه المفاجأة قد قادت إلى تشويق** بلغ
ذروته في لحظة دخول العزيز ورؤيته **هذا الحدث، ومن ثم تنعقد المفارقة** التي
حاولت المرأة إيقاع زوجها **ضحية لها .**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويأتـي التوتر في المفارقة الأخيرة في تهديد يوسف لإخوته بمنع الكيل عنهم إذا لـم يأتوا ببنيامين معهم في المرة القادمة، ويقود هذا التوتر إلى مفاجأة تتمثل في موافقة الأب على إرساله معهم، ويترتب على هذه المفارقة تشويق، يتمثل في إخبار يوسف لبنيامين بحقيقة الأمر وبأخوته له، ومحاولته إبقاء أخيه معه، ومن ثم يقود هذا التشويق إلى انعقاد المفارقة .

وتـدل هذه الممهدات / " التوتر والمفاجأة والتشويق " على أن هذه المفارقات قـد ارتبطت بسياق القصة، وتغلغلت في نسيجها، ولم تختلق عليها، أو تكون مجتلبة من خارجها.

وقد وظفت المفارقة كذلك في " **قصة موسى** " فالمفارقة تعد جزءا من البناء الدرامـي للقـصة في كثير من مراحلها، من خلال عدد من المفارقات الدرامية التي اسـتثمرت فـي بناء القصة، فالمفارقة الأولى هنا حدثت حينما أمر الله أم موسى أن تلقي ابنها في اليم، فيذهب تابوت الغلام مع النيل، ويمر على قصر فرعون، فتلتقطه جـواري القـصر، ويعـرض الغلام على فرعون الذي تعامل مع الحدث دون علمه بحقيقـته، ومن ثم وافق أن يعيش الغلام / موسى معه، وأن يتربى في قصزه، وبهذا يقـع فـرعون ضحية للمفارقة التي يعلم المتلقي / المراقب للمفارقة حقيقة الأحداث فـيها، وينتظر بناء على هذا العلم ما ستؤول إليه الأحداث بعد ذلك" **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَـى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَـيْكِ وَجَاعِلُـوهُ مِـنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِـرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** " (القصص ٧ : ٩) .

وتأتـي بعـدها مباشـرة مفارقة ثانية ضحيتها فرعون أيضا، وهي مفارقة إرضـاع أم موسـى لابنها من دون علم فرعون بأنها أمه " **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًـا إِنْ كَـادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لأُخْـتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (القصص ١٠ : ١٣) (٧٢)

فقد قادته الغفلة إلى أن يأمر خدمه بدعوة أم موسى؛ لترضع الغلام، وتعيش معه في قصره،ويجري لها راتبا ونفقات وعطايا، كل ذلك من دون علمه بالحقيقة، ولو كان عالما لتصرف تصرفا آخر، غير أن المتلقي يعلم حقيقة الأمور، ويراقب تطور الأحداث مع أخت موسى التي تعد صانعة هذه المفارقة؛ لكونها هي التي فكرت في أن تكون أم موسى هي مرضعته، لما عاف الغلام المراضع كلها، وقد كانت الفتاة على علم بتطور الأحداث منذ بدايتها .

وقد زاد هذه المفارقة حدة وإثارة وجود شخصية في القصة تشارك المتلقي في معرفة ما يجهله الآخرون .

ثم تأتي مفارقة تنسج خيوطها شخصية من شخصيات القصة " السامري " الذي يقوم بعمل خدعة، ويقع بنو إسرائيل ضحية لها، وقد نسجت خيوط هذه المفارقة في غياب موسى الذي ذهب لجبل الطور لمناجاة ربه، فقد أخذ " السامري " ما كان مع نساء القوم من حلي وصاغها عجلا ، وألقى داخله قبضة من تراب كان أخذها من أثر فرس جبريل ــ فقد كان السامري قد رأى جبريل يوم إغراق فرعون ــ فلما ألقاها خار العجل كما يخور العجل الحقيقي، وقد قيل إن الريح كانت إذا دخلت من دبره وخرجت من فمه يخور كما تخور البقرة . (٧٣)

" .. **وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ .... قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا** " (طه ٨٥)

وبعد ما أتم السامري فكرته أقنع بني إسرائيل أن هذا العجل هو إلههم وإله موسى، لكنه نسيه عندهم، وذهب يبحث عنه عند الطور " **فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * .....* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى** "(طه ٨٨ : ٩١)، وفعلا وقع القوم ضحية لمفارقته نتيجة غفلتهم عن حقيقة الأحداث، ومن ثم عبدوا العجل فكانوا كلما سمعوا خواره يرقصون حوله ويفرحون .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن المتلقي / المراقب على علم بما لا تعلمه الضحية من حقيقة الأحداث والأمور، وبهذا نحقق شرط الوعي للجمهور و الغفلة للضحية .

ثم تنسج خيوط حدث آخر في قصة موسى يلمح فيه سمات المفارقة الدرامية، وهي المفارقة التي نسجت خيوطها حينما ظن موسى أنه أعلم أهل الأرض، أنه لا يوجد على وجه الأرض أعلم منه . (٧٤) فأراد الله أن يلقنه درسا حتى لا يغتر بعلمه، فكان أن أرسل له الخضر الذي يتفق معه موسى على أن يتبعه، ويقوم الخضر بفعل ثلاثة أشياء لا يعلم موسى الحكمة من ورائها ومن ثم يتصرف بناء على عدم علمه بحقيقة الأمور؛ ليثبت له أن عقله البشري قاصر عن إدراك حقائق الكثير من الأمور، ويلمح هنا توظيف للمفارقة الدرامية حيث يخل موسى بالاتفاق الذي أبرم بينهما بعدم سؤال موسى للخضر عن سبب أفعاله .

الأولى أن " خضرا " قام بخرق سفينة البحارة الذين منوا عليهما بحملهما في البحر من دون أجرة، فقد فوجئ موسى عندما رأى الخضر يخلع لوحا من ألواح السفينة، فعاتبه بشدة على مقابلة الجميل بهذا الصنيع المشين من دون سبب " **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** " وتمثلت الثانية في مفاجأة أخرى تقع لموسى / الضحية عندما يقابلا غلاما يلعب مع أترابه فيأخذه خضر ويقتلع رأسه بيده، فسرعان ما يستنكر موسى على خضر ما قام به ويعاتبه بشدة في قتل هذه النفس البريئة من دون ذنب " **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** (الكهف ٧٤)

والثالثة : نسجت عندما أقام خضر جدار أهل القرية الذين رفضوا أن يضيفوهما، من دون أن يطلب أجرا على ما قام به فاستنكر موسى عليه ذلك ودعاه لطلب الأجر منهم " **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** " (الكهف ٧٧)

إن رد فعل موسى قد جاء بناء على عدم علمه بحقيقة الأمور والأحداث ومن ثم وقع ضحية لهذه المفارقات التي نسجت خيوطها؛ ليتلقن درسا . (٧٥)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن المتلقي / مراقب المفارقة هنا يشارك الضحية عدم العلم بحكمة هذه التصرفات، ولم تكشف له الحقائق إلا في اللحظة التي تم كشفها فيها للضحية .

إن ما يمكن قوله إن قصة موسى في القرآن قد اعتمدت في بنائها الدرامي على عنصر المفارقة.

وتأتي " **قصة إبراهيم** " وتوظف فيها المفارقة الدرامية كذلك في عدة مواضع منها فالمفارقة الأولى ينسج إبراهيم خيوطها ويقع قومه ضحية لها " **فلمَّا جنَّ عليه اللَّيلُ رأى كوكبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** " (الأنعام ٧٧) .

فقد أراد إبراهيم أن يوضح لقومه خطأهم في عبادة الأجرام السماوية، فأوهمهم أنه يبحث معهم عن الإله الحقيق بالعبادة، فرأى كوكبا فقال لقومه هذا هو إلهه، فوقعوا ضحية خدعته وأخذوا يعبدونه ليلة كاملة إلى مطلع الفجر حتى أفل الكوكب، فأخبرهم أنه ليس دائما وأن الإله ينبغي أن يكون دائما لا يزول، فأقنعهم أنه ليس حقيقا بالعبادة، وقام بالأمر نفسه مع القمر ومع الشمس، وتعد هذه المفارقة الدرامية من نوع المفارقة السقراطية .

أما المفارقة الثانية فقد كان ضحيتها إبراهيم نفسه "**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ** (هود ٦٩) وقوله " **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** " (الذاريات ٢٤)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد وقعت المفارقة حينما ظن إبراهيم أن الملائكة الذين أرسلوا إليه بشرا، وتصرف بناء على عدم علمه بحقيقة الأحداث، فعاملهم معاملة الأضياف، فذهب وانتقى لهم عجلا سمينا، وشواه، وقدمه إليهم، إننا هنا بوصفنا مراقبين للأحداث نعلم ما لا يعلمه إبراهيم / ضحية هذه المفارقة، ومن ثم ننتظر رد فعله عندما يعرف أنهم ملائكة .

وقد حدث الأمر نفسه في " **قصة لوط** " فقد وقع ضحية المفارقة ذاتها، حينما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان وطلبوا منه أن يضيفهم، فوقع لوط ضحية لعدم العلم بحقيقة الأمور وتعامل معهم على إنهم بشر وليسوا ملائكة، فضيفهم عنده لما طلبوا منه ذلك، وقد وقعت زوجة لوط هي الأخرى ضحية لهذه المفارقة عندما ذهبت مسرعة وأخبرت القوم بوجود شباب في بيت لوط، فوقع القوم أيضا ضحية للمفارقة ذاتها وراودوا لوطا عن ضيفه، إن الأحداث كلها والحوارات التي دارت بين زوجة لوط والقوم وبين لوط والقوم دارت بناء على غفلة الجميع عن معرفة حقيقة الأحداث التي يعرفها المتلقي المراقب للمفارقة، ويتشوق لمعرفة ما ستؤول إليه الأحداث .

ويوظف القرآن الكريم المفارقة الدرامية كذلك في " **قصة مريم**" " **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**

(١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا" (مريم ١٦)

فقد كانت مريم تقيم في المسجد و لا تخرج منه إلا لحاجة ضرورية، وبينما هي خارجة من المسجد في قضاء حاجة لها، وموجودة في مكان ناء ليس فيه أحد، إذ تمثل لها أحد الملائكة بشرا، فظنت مريم غفلة عن حقيقة الأمور أنه يريد بها سوءا، ومن ثم وقعت مريم ضحية الغفلة عن حقيقة الأمور، فخافت خوفا شديدا، وذكرته بالله؛ تخويفا له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن المراقب هنا يعلم ما لا تعلمه مريم عن حقيقة هذا الملاك، والسبب الذي جاء من أجله، وقد أدى التوتر والمفاجأة – التي تطورت إلى تشويق – إلى التمهيد لهذه المفارقة، وبهذا جاءت مرتبطة بالنسيج الأساسي للقصة، وتأتي المفارقة الثانية التي يقع فيها قوم مريم ضحية لها " **فأجاءها المخاضُ إلى جذعِ النخلة قالتْ يالَيتني متُّ قبلَ هذا وكُنتُ نسيًا منسيًا (٢٣) فناداها منْ تحتِها ألّا تحزني قدْ جعل ربُّك تحتَك سريًا (٢٤) وهُزّي إليك بجذعِ النخلة تُساقطْ عليْك رُطبًا جنيًا (٢٥) فكُلي واشربي وقَرّي عينًا فإمّا ترينّ منْ البشرِ أحدًا فقُولي إنّي نذرتُ للرّحمنِ صومًا فلنْ أكلّم اليومَ إنسيًا . فأتتْ به قومَها تحمِلُه قالُوا يامريمُ لقدْ جئْت شيْئًا فريًا (٢٧) ياأختَ هارُون ما كان أبُوك امرأَ سوْءٍ وما كانتْ أُمُّك بغيًا (٢٨) فأشارتْ إليْه قالُوا كيْف نُكلّمُ منْ كانَ في المَهْدِ صبيًّا** (مريم ١٦) .

فقد عادت مريم وهي تحمل غلاما، فاستنكر القوم أمرها جدا، وتصرفوا بناء على غفلتهم عن الحقيقة التي جاء بها تطور الأحداث وأن مريم ليست بغيا. وقد زاد من حدة المفارقة أن مريم لم تدفع عن نفسها الفرية؛ لأنها كانت مأمورة بالصوم عن الكلام؛ ليكون ذلك تمهيدا لمعجزة كلام الطفل في مهده، إن هذه الإثارة والحدة التي جلبها عدم دفاع مريم عن نفسها يتساوق معها علم المتلقي بحقيقة ما تجهله الضحية لتكوين مفارقة درامية واضحة .

وقد تم توظيف المفارقة الدرامية في قصة " **غواية الشيطان لآدم وزوجته** " فهي ترسم في جو من المفارقة صاحبها الشيطان وضحيتها آدم، ذلك أن الشيطان يبدأ فيوهم آدم وزوجته أن هناك شجرة **في الجنة من أكل منها يكتب له الخلد** " **فوَسْوَسَ إلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**" (طه ١٢٠) بل أخبرهما إن نَهْي الله لهما عن الأكل من هذه الشجرة سببه أنه لا يريد لهما أن يكونا ملكين " **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** " (الأعراف ٢٠) وتأكيدا لهذا فقد أقسم لهما على صدق ما يقول، وأنه لا يبغي من وراء ذلك إلا النصيحة المخلصة "**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النَّاصِحِينَ " (الأعراف ٢١) . ومن ثم وقع آدم وزوجه ضحية لهذه المفارقة، وكانت النتيجة أن " أكلا منها **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ** " (الأعراف ٢٢) .

ولم يشعرا بحقيقة ما وقعا فيه إلا عندما بدت لهما سوآتهما ثم تأتي اللحظة التي يتم فيها الكشف عن حقيقة المفارقة عندما يناديهما الله – سبحانه – " **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ** " (الأعراف ٢٢) . لقد تصرفا بناء على عدم العلم بحقيقة نوايا الشيطان الذي يريد أن يصل إلى أن يغضب آدم وزوجه ربهما، فتكون النتيجة إقصاءهما عن الجنة، وفعلا يتم للشيطان ما يريد ويتم إقصاء آدم وزوجه عن الجنة بسبب هذه الخدعة التي رسم الشيطان خيوطها ببراعة فانطلت على آدم وزوجه " **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** " (الأعراف ٢٤)

إن متلقي / مراقب هذه المفارقة يعرف بعض حقائقها دون البعض الآخر، إنه يعرف سلفا الحقد الذي يضمره الشيطان لآدم، ومن ثم يدرك سلفا أنه يرسم خطة للإيقاع بآدم، لكن حقيقة الأمر لم تكشف له إلا مع تأنيب الله لآدم وزوجه على الأكل من الشجرة المحرمة .

وهذه قصة " **بلقيس مع سليمان**" الوارد ذكرها في سورة النمل، فقد طلب سليمان من الجن أن يحضروا عرش بلقيس قبل مجيئها، وفعلا أحضر سرير العرش بسرعة خاطفة " **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** " (النمل ٣٨) إن بلقيس / الضحية لا تعلم شيئا عن هذا الأمر، ومن ثم فهي تتصرف من دون وعي بحقيقة الأحداث المحيطة بها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد زاد سليمان من حدة المفارقة حينما أمر خدمه أن ينكروا العرش " قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون " فلما جاءت عرضه عليها، قد تعرف عرشها إيما قالت " كأنه هو " (النمل ٤٢) [٦] .

إننا نعلم ما لا تعلمه بلقيس في هذه المفارقة التي وقعت فيها المرأة ضحية، غير أن سليمان قد أعد مفارقة أخرى أوقع فيها بلقيس ضحية لها مرة أخرى، وهي مفارقة الصرح الممرد " قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير " (النمل٤٤) فقد أمر سليمان ببناء قصر عظيم من زجاج وأجرى تحته ماء، ودعا إليه بلقيس فلم تشك أنه ماء، وكشفت عن ساقيها؛ خشية أن يصيب الماء ثوبها، ومن ثم وقعت ضحية هذه المفارقة، إن هذه المفارقة التي أعدها سليمان لبلقيس قد أحدثت تشويقا كان ممهدا طبيعيا لانعقاد المفارقة .

وتحدث مفارقة أخرى في القصة ذاتها لكن ضحيتها هذه المرة جن سليمان الوارد ذكرها في سورة سبأ " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُوْنَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِيْنِ" (سبأ ١٤).

ذلك أن روح سليمان قد قبضت وهو يصلي، وكان متكئا على عصاته، فلم يسقط على الأرض أو يظهر أنه قد مات، ومن ثم لم تعلم الجن بموته، فقد كانوا يظنون أنه ما زال قائما يصلي، وكان من عادة سليمان أن يتحنث في بيت المقدس الشهر والشهرين والسنة والسنتين، وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، لا يجرؤ أحد على قطع تحنثه، إن الجن قد تصرفوا بناء على جهلهم بحقيقة الأمر؛ لأنهم لو كانوا يعلمون حقيقتها ما لبثوا تحت تسخير سليمان لهم .

إننا في هذه المفارقة على علم بما تجهله الضحية، ومن ثم فإن التشويق ينعقد لأننا ننتظر تطور الأحداث، وننتظر كذلك لحظة انكشاف السر، واتضاح حقيقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحـــداث فـــي هذه القصة، وما سيؤول إليه مصير هؤلاء الجن الذين وقعوا ضحايا لهذه المفارقة عاما كاملا . (٧٧)

الشخصية التفارقية :

تمـــتد المفارقة في بعض الأحيان لتشمل شخصيات القصة أو بعضها، حيث يـــتم بناء الشخصية داخل الحدث بطريقة تفارقية، فترسم الشخصية في البداية بشكل تـــبدو معـــه ذات سمات خاصة غير أن تطور الأحداث يؤدي إلى حدوث انقلاب في ســـمات الشخـــصية، ممـــا يجلهـــا تبدو في صورة متناقضة تماما، أو بدرجة ما من التناقض عما كانت عليه بداية.

وتعد الشخصية التفارقية عنصرا من العناصر المهمة التي يعول عليها الكثير مـــن الباحثـــين في أثناء تحليلهم للأعمال الدرامية، ومن هؤلاء د: خالد سليمان الذي تـــناول الشخـــصية التفارقية في أثناء تحليله لمسرحيات " سعد الله ونوس " فقد تناول شخـــصيات مسرحية " طقوس الإشارات والتحولات " ورأى أن بعض شخصيات قد رســـمت بطريقة تفارقية، حيث يركز على ما آلت إليه بعض الشخصيات من موقف مـــناقض للشكل الذي رسمت به في البداية، ومن هذه الشخصيات شخصية " عبد الله حمـــزة " الـــذي كان نقيبا للأشراف ووفر له المؤلف ألق المنصب ونعيم الثراء مما يساعده على الاستمرار بنفس الصفات، لكنه يبدو في النهاية في صورة مناقضة تماما لتلك التي كان عليها في بداية الأحداث وتواترها، فينتهي إلى صوفي بائس ضائع.

إن هـــذه الانعطافـــة في تحول الشخصية تمثل تناقضا حادا يحمل كل سمات المفارقة ومفاجأتها (٧٨) ويقال الكلام ذاته على شخصيات " مؤمنة " و " المفتي " .

كمـــا أن " جابرا " في مسرحية " رأس المملوك جابر " يمثل نموذجا واضحا للشخـــصية التفارقية، فهو كما ترسمه الأحداث **مملوك ذكي، فيه نباهة وفطنة، مغامر** وعاشق وطموح، وكلها سمات كان يفترض **ألا توقعه في النهاية التي آل إليها والتي** كلفته حياته . (٧٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم يمكن القول إن الشخصية التفارقية هي تلك التي تتناقض صورتها التي تؤول إليها مع الصورة التي ترسم لها في بداية الأحداث، بحيث يمكن ملاحظة التغيرات الحادة التي تحدث لها في تطور أحداث العمل بوضوح .

وقد وظف القرآن الشخصية التفارقية في العديد من القصص، لكن ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار بداية أن الباحث عن الشخصية التفارقية في القرآن لا بد ألا يتوقع توظيفا قرآنيا لها مثل هذا التوظيف الذي يقوم به كتاب الدراما الذين يقومون ببناء الشخصية بناء تفارقيا، وما يمكن ملاحظته في القرآن هو وجود بعض الشخصيات التي تحمل سمات تفارقية سواء أكانت شخصيات أساسية أم شخصيات ثانوية، أما بناء الشخصية داخل الحدث بناء تفارقيا كاملا فهذا ما لم يعن القرآن به إلا قليلا .

ومن هذه الشخصيات شخصية " **إبليس**" التي يمكن أن تعد أنموذجا مناسبا للشخصية التفارقية، فقد كان إبليس ــ بداية ــ مقيما في الجنة، ولا يقيم فيها إلا كل طائع لله، فقد كان " من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما، وكان من أشرف الملائكة وأكرمهم، وأكثرهم عبادة، وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا، بل كان جنديا من جند الله يأتمر بأمره " (٨٠)

غير أن الأحداث تنتهي به نهاية مناقضة تماما لهذه البداية، حيث يعصي إبليس الله، فيحكم عليه باللعنة، ويطرد من رحمة الله وجنته " **قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ** " (ص : ٨١) . ويظل في الدنيا ينتظر عذاب الله، يوسوس لخلق الله، يريد أن يثنيهم عن طاعة الله؛ ليلاقوا نفس مصيره . (٨١)

ومن الشخصيات التي تم استثمار وتوظيف السمات التفارقية فيها شخصية " **بني إسرائيل** " وقد جاء التفارق فيها من طريقين، الأول : التناقض الواضح في شخصية بني إسرائيل قبل خروج موسى بهم من مصر وبعد خروجه بهم، فقد كانوا قبل الخروج قوما مستضعفين في الأرض، ينكل بهم فرعون أينما شاء ووقتما شاء، يذبح أولادهم ويستحيي نساءهم، ويذيقهم صنوف العذاب، ويستذلهم بكل وسائل الذل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والهوان " إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (القصص : ٤)

ومن ثم فقد كانوا ينتظرون بشغف من يخلصهم من كل هذا، لذا فقد كان المتوقع منهم أن يطيعوا الرجل الذي خلصهم من كل هذا وأراهم الآيات العظام في فرعون وقومه، وأن يسيروا على دربه ويؤمنوا بما يأمرهم به، غير أن الذي حدث كسر توقع المتلقي تماما، فقد تبدلت حالهم بل تناقضت منذ اللحظة التي نجوا فيها من فرعون وخاض بهم موسى البحر، وغرق فرعون وجنوده، فقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم " قيل إنها كانت على صور البقر " فطلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناما مثلها ليعبدوها من دون الله " ... **فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** " (الأعراف : ١٣٨)

ومن ثم استثمر السامري هذا الأمر وانتهز فرصة غياب موسى وصنع لهم إلها على صورة العجل وسرعان ما عبدوه، كما أنهم طلبوا من موسى أن يريهم الله جهارا حتى يؤمنوا به " **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** " (البقرة : ٥٥)

كما رفضوا أن يأتمروا بأمره ويدخلوا بيت المقدس ويواجهوا من فيه من القوم الجبارين، على الرغم من أنه قد أخبرهم أن دخولهم هذه الأرض أمر مكتوب عليهم من الله، ومع ذلك فقد رفضوا ونكلوا عن الجهاد " **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا** ..... (المائدة : ٢٠) وغيرها من الأمور التي تدل دلالة مباشرة على حدوث تناقض كبير حدث في شخصية هؤلاء القوم، وهذا التناقض هو الذي يعول عليه في تحديد السمات التفارقية للشخصية .

كما أن التناقض قد جاء من طريق آخر هو تناقض حالهم بين الإنعام والانتقام، فقد أنعم الله على بني إسرائيل إنعاما بينا، كانت له مظاهره الواضحة التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشار القرآن إليها في أكثر من موضع، ومنها أن الله أعطاهم نعمة الرسالة والكتاب السماوي، ونعمة الملك والحكم والنبوة والاستخلاف في الأرض المقدسة، والرزق من الطيبات، من مثل المن والسلوى وغيرها، كما أن الله نجاهم من البحر، وأنقذهم من فرعون ودمره هو وجنوده وأورثهم ملكه وماله،وبالإجمال فقد فضلهم الله على العالمين " **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**" (المائدة ٢٠) " **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** " (البقرة : ٤٩، ٥٠) " **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** " (البقرة : ٥٧) ثم ينتهي بهم الحال إلى ما يناقض كل هذه النعم من النقم التي حلت بهم ومنها عقوبات التيه والصاعقة والمسخ والذلة والمسكنة والغضب واللعنة وغيرها من العقوبات " **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** " (البقرة : ٦٥) " **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** " (البقرة ٥٩) " **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا** " (الأعراف ١٦٨) " **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** " (المائدة : ٢٦) " **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ** " (المائدة : ٧٨)

وهذا التناقض يمنح الشخصية سمة تفارقية جديدة تضاف لسماتها التفارقية الأخرى . (٨٢)

ومن المنطلق نفسه يمكن عد " **شخصية المنافق** " في القرآن الكريم شخصية تفارقية فهي شخصية تظهر عكس ما تبطن، ومن ثم فهي تحوي سمات متناقضة تدخلها في دائرة التفارقية .

ومن الشخصيات التي توجد فيها السمات التفارقية،**شخصية امرأة العزيز / زليخا في قصة يوسف فهي شخصية يلمح في بنائها بعض السمات التفارقية**، فقد تمت تهيئة الأمور لتكون علاقتها بهذا الغلام الصغير الذي اشتراه زوجها متوسما فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخير هي علاقة الأمومة، نظرا لفارق السن وفارق المكانة، فزليخا زوجة وزير مصر، وابنة أخت ملكها الريان بن الوليد (٣) غير أن المتوقع حدوثه لم يحدث فعلا، فقد اتجهت الأمور لنقيضها تماما حينما نظرت المرأة ليوسف نظرة معشوقة بعاطفة غير عاطفة الأمومة، فراودته عن نفسه، وأرادت أن تجعل منه عشيقا بدلا من ولد، ومن ثم بدت زليخا في صورة مناقضة لتلك التي كانت عليها في بداية الأحداث أو على أقل تقدير صورة مناقضة لتلك الصورة التي كانت متوقعة لها. لو حملت زليخا بكل وسائل مكر الأنثى وخداعها، وقد بدا هذا بوضوح في تلك اللحظة التي نفت فيها التهمة عن نفسها، وألصقتها بالعشيق الشاب، غير مبالية بالمصير الذي يمكن أن يؤول إليه.

وقد تم استثمار هذه السمات التفارقية مرة أخرى مع شخصية زليخا ذاتها، فتبدو عند نهاية دورها في أحداث القصة بصورة أخرى مناقضة لهذه الصورة، صورة المرأة التائبة المعترفة بخطئها، المتحدثة عن أحوال النفس " **قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** " (يوسف ٥٠: ٥٣).

وتبدو السمات التفارقية في القصة ذاتها في شخصية " **إخوة يوسف** " فقد ظهر الإخوة في صورة الحاقدين على أخيهم، والمقتنعين بضلال أبيهم، والمدبرين للمكيدة لأخيهم للتخلص منه ومن ثم إبعاده عن وجه أبيهم ، حتى وصل بهم الحال إلى التفكير في قتله .

غير أن نهاية الأحداث تظهر هؤلاء الإخوة في صورة مناقضة تماما لما كانوا عليه، فتنتهي بروبيل / الأخ الأكبر إلى صورة الشخص الذي يحفظ العهد، فيقرر عدم العودة مع إخوته والبقاء في مصر حتى يسمح له أبوه بالعودة " **... قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ وَأَخِيهِ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَو يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** " (يوسف ٨٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتنتهي الأحداث كذلك بالإخوة جميعا إلى الاعتراف بخطئهم، ومن ثم يطلبون من أبيهم أن يستغفر لهم خطأهم " **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم** " (يوسف ٩٨) .

" إن البناء المفارق لهذه الشخصيات في قصة يوسف ينضم مع البنية المفارقة لبعض الأحداث فيها لتكوين " بنية تفارقية مركبة "، وهي تأتي نتيجة قيام العنصرين الأساسين في العمل " الشخصيات والأحداث " أساسا على المفارقة . (١٤)

ويمكننا ملاحظة الشخصية التفارقية في قصة " **أصحاب الجنة** " فيبدو من شخصية أبطال القصة أنهم ماديون، ليست عندهم نية لمشاركة الفقراء لهم في ثمار جنتهم، مقتنعون تماما بخطأ أبيهم، غير أن نهاية الأحداث تظهرهم في صورة مناقضة لتلك التي كانوا عليها، فقد صاروا مقتنعين بخطئهم، مؤمنين بحق الفقراء في ثمار حديقتهم .

إن قصة " **أصحاب الجنة** " تعتمد في جانب كبير منها على البنية التفارقية المركبة، فالأحداث مبنية على المفارقة، والشخصيات تفارقية .

وقد وظف القرآن الأمر نفسه في قصة " صاحب الجنتين " التي تعد هي الأخرى قصة ذات سمات تفارقية مركبة .

وقد وظف القرآن " الشخصية التفارقية " في بعض القصص من دون أن تكون الأحداث المصاحبة للشخصية أحداثا معتمدة على المفارقة، وقد تكون هذه الشخصيات ثانوية وليست أساسية، ومن ذلك تصويره لشخصيات " **سحرة فرعون** " حيث كانوا في البداية كفرة مساندين لفرعون، الذي يتخذهم وسيلة لإبطال دعوة موسى، ينتظرون جائزة فرعون إذا انتصروا على موسى " **وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِيْنَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِيْنَ** " (الأعراف : ١١١) .

لكن هذه السمات تتبدل في النهاية لتبدو في صورة مناقضة لما كانت عليه في البداية، فقد آمن هؤلاء وحسن إيمانهم، فلم يرهبهم تهديد فرعون لهم بالتنكيل بهم وقتلهم " **قَالَ فِرْعَوْنَ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ " (الأعراف ١٢٣، ١٢٤) .وذلك لما وقر في قلوبهم من البينات والدلائل القاطعات، وقد أصبحت قضية الإيمان واضحة تماما في أذهانهم أما في الدار الآخرة فسوف ينال هؤلاء أجرهم من الله " قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " (طه : ٧٢) . (٨٥)

وبعد هذا التطواف مع قصص القرآن الكريم يمكننا ملاحظة الأشكال المختلفة التي اتخذتها المفارقة في القصص القرآني، فقد اتخذت المفارقة أشكالا متعددة، فبعض المفارقات تحقق فيها جهل الضحية بحقيقة الأحداث، على حين كان المتلقي / مراقب المفارقة يعلم هذه الحقيقة .

ومن ذلك ما جاء من مفارقات في قصة " أصحاب الجنة "، وقصة العزير، وقصة أهل الكهف، و قصة يوسف، و بعض مفارقات قصة سليمان " عرش بلقيس، و موت سليمان "، و بعض مفارقات قصة " موسى " ترعرع موسى في قصر فرعون، و إرضاع أم موسى لابنها من دون علم فرعون "، وقصة رسل الله من الملائكة لإبراهيم ولوط .

وهناك مفارقات تحقق فيها جهل الضحية والمراقب معا، ولم تكشف حقيقة الأحداث للمراقب إلا مع الضحية ومن ذلك المفارقات التي وردت قصة " صاحب الجنتين " وقصة " الصرح الممرد " ، وقصة " موسى " .

كما أن هذه المفارقات الدرامية التي وردت في القرآن قد انتظمت في بعض الأحيان جانبا كبيرا من البناء الدرامي للقصة، ومن ذلك قصة يوسف، وقصة موسى، وقصة العزير، وقصة أصحاب الجنة و قصة أصحاب الكهف وغيرها، في حين أنها قد وردت في بعض القصص بوصفها جزءا بسيطا من البناء الدرامي ومن ذلك المفارقات التي وردت في قصة " سليمان " و قصة " إبراهيم " ، وقصة " لوط " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن بعض القصص في القرآن قد اعتمدت على بنية المفارقة المركبة لقيام الشخصيات والأحداث فيها على سمات تفارقية، ومن ذلك قصة " يوسف " و " أصحاب الجنة " .

لقد تم توظيف المفارقة في عدد من القصص القرآني يبلغ إحدى عشرة قصة في القرآن الكريم على اختلاف أشكال هذا التوظيف ودرجاته وهذه القصص هي " قصة أصحاب الجنة " و " قصة صاحب الجنتين " و " قصة أصحاب الكهف " و " قصة العزير " و " قصة يوسف " و " قصة آدم " و " قصة سليمان " و " قصة موسى " وقصة مريم " و " قصة إبراهيم " و " قصة لوط "، ويمثل هذا العدد نسبة ٣٠% من مجمل القصص الواردة في القرآن والبالغ عددها ثمان وثلاثين قصة .(٨٦)

وتدل هذه النسبة على اهتمام القرآن الكريم بفن المفارقة الدرامية والحرص على توظيفها في قصصه .

كما أن الأمر الذي ينتظم هذه المفارقات التي وردت في القرآن الكريم هو أنها قد وظفت وتم الاعتماد عليها بوصفها عنصرا من عناصر البناء في القصة، و جاءت متصلة ببنية العمل، وخيطا من نسيجه، ولبنة من لبناته، ولم تكن مختلقة أو مجتلبة عليه من خارجه؛ لأن وجودها كان طبيعيا مهدت له أحداث القصة، وعناصرها الفنية الأخرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) نقلا عن دكتور : خالد سليمان : المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، فلسطين، ط ١، ١٩٩٩ م .

(٢) السابق ص ٣٤ وما بعدها .

(٣) يذهب د . سي . ميوميك إلى أن هذا التقسيم للمفارقة على جانب كبير من الأهمية، فتعريف المفارقة بطريقة لا تنال من نوعيها الرئيسين " المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف " مسألة صعبة. المفارقة، ترجمة دكتور : عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الكتب المترجمة (١٢٢)، دار الرشيد، ١٩٨٢ م . ص ٤٣ .

(٤) دكتور : ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م .

(٥) ربما يؤدي هذا المفهوم للمفارقة إلى حدوث نوع من التقارب بينها وبين المجاز والاستعارة؛ لكونها ذات دلالة ثنائية، لكن ما يمكن ملاحظته أن الدلالة الثنائية في المفارقة دلالة " مناقضة" أي أن أحد المدلولين مناقض للثاني، بينما لا تستلزم الاستعارة وجود تناقض بين المدلولين، إنما هو الاختلاف فقط، كما أن المفارقة تحوي دائما علامة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول " ويمكن القول إجمالا إن المفارقة هي انقلاب في الدلالة . المفارقة والأدب ص٢٦ ، ٣٢ .

(٦) تذهب الدكتورة نبيلة إبراهيم إلى أن المفارقة لها محددات أهمها : أولا : وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد المستوى السطحي للكلام، على نحو ما يعبر به، والمستوى الكامن الذي لم يعبر به، والذي يلح القارئ على اكتشافه . ثانيا : لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص، ثالثا : لابد من وجود ضحية للمفارقة . المفارقة، مجلة فصول ، مجلد ٧، عدد ٣، ٤، ١٩٨٧، ص ١٣٣ .

(٧) المفارقة، ص ٥٠ .

(٨) دكتور : عبد القادر الرباعي : نماذج من المفارقة في شعر عرار ص ٣٠٢ .

(٩) المفارقة ص ١٠٠ .

(١٠) يذهب د . سى . ميوميك إلى أن المفارقة الدرامية تعد قوام المفارقة في المسرح . المفارقة ص ١٠٢ و يبدو أن هذا الارتباط بالمسرح هو ما جعل المفارقة الدرامية يطلق عليها في الكثير من الأحيان مفارقة سوفوكليس. المفارقة والأدب ص ٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١) المفارقة ص ٩٦ .

(١٢) السابق ص ١٠٤ غير أن ميوميك يرى من جهة أخرى أنه ليس من المهم أن يكون المتلقي على علم مسبق بالأحداث " فلا يشترط أن يقدم الدرامي إلى الجمهور معرفة مسبقة بالأحداث " ، يصوغ ذلك بأن المرء يسهل عليه معرفة قصة المسرحية حتى قبل رؤيتها أول مرة، وهذا مما يشجع الدرامي أن يفضل المفارقة الدرامية على عنصر المفاجأة " السابق ص ٧٠ .

(١٣) المفارقة والأدب ص ٣٠ .

(١٤) السابق ص ٣٠ .

(١٥) دكتور : عبد الحميد شيحة : المفارقة المسرحية بين النظرية والتطبيق، مجلة المسرح، عدد ٢٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٥١ .

(١٦) السابق ص ١٥١ .

(١٧) المفارقة ص ٨٧ .

(١٨) السابق ٩٠ .

(١٩) Diectionary of world literary : ed .by joseph t.shipley clondon ١٩٧٠ . see : irony

(٢٠) irony of drama op .cit .p٢٧ نقــلا عــن المفارقة المسرحية بين النظرية والتطبيق ص ١٥١ .

(٢١) السابق ص ١٦١ بتصرف .

(٢٢) المفارقة ص ٥٨.

(٢٣) ينظر : المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٦٨ بتصرف .

(٢٤) المفارقة ص ١٠٥ .

(٢٥) السابق ص ١٠٥.

(٢٦) السابق ص ٦٠ .

(٢٧) السابق ص ٧٣.

(٢٨) ابـن الأثير الحلبي : جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة من أدوات ذوي اليراعة، تحقيق د: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د : ت)، ص ٢٠٦ .

(٢٩) السابق ص ٢٠٦ . وقد أورده ابن المعتز في كتابه البديع، وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، غير أنه لم يحدد مفهومه إنما ساق الأمثلة مباشرة مشيرا إلى ورود الباب عند ابن المعتز . كما أورده

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل من أبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط ٢، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، وأسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠، تحت باب الرجوع والاستثناء " وقد أورده كذلك ابن حجة الحموي في خزانته ذاكرا أن ينفي صفة ذم لم يستثني صفة مدح كقولك " لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف " وأورد قوله تعالى " لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا "

ويمثل لذلك بقول ابن الرومي :

لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لا تَقَعُ العَيْنُ عَلَى مِثْلِه

خزانة الأدب وغاية الأرب، المجموعة الخاصة، الجامعة الأردنية ، ص ٥٥١ .

(٣٠) تحرير التحبير ص ٦٣٩ . وقد ورد هذا تعريف هذا الباب نصا عند كل من ابن الأثير الحلبي في الجوهر، وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، وقد أورد المؤلفان نفس المثال الوارد ذكره .

(٣١) جوهر الكنز ص٣٠٥. وقد ورد التعريف ذاته عند ابن حجة الحموي في الخزانة " أن يقصد المتكلم هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه. غير أنه أورد مثالا مختلفا هو قول الحماسي :

يَجْزَونَ مِن ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوْءِ إِحْسَانًا

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سوَاهُم مِنْ جَمِيْعِ النَّاسِ إِنْسَانًا

ويعلق بقوله" فظاهر الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى، وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة . الخزانة ص ١٤٧ .غير أن الرجل قد أشار إلى سبق ابن أبي الإصبع لتحديد المفهوم بقوله : وهو من مستخرجات ابن أبي الإصبع .

(٣٢) جوهر الكنز ص٢٢١، وتحرير التحبير ٦٧ .

(٣٣) تحرير التحبير ص ٦٧ .

(٣٤) السابق ص ٦٧ .

(٣٥) جوهر الكنز ص ٢١١، ورد موضوع الهزل يراد به الجد عند " العلوي " في الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، دار الكتب العلمية، الرياض، بيروت، ١٩٨٠ ، غير أنه لم يفرد له بابا خاصا إنما ألحقه بأذيال باب "تجاهل العارف "، وقد أورد قول الشاعر :

إِذَا مَا تَمِيْمِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُل عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ للضَّبِّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعلق عليه بقوله : فالاستفهام جامع لهما جميعا، لكنه أورده على جهة التهكم به والهزء والسخرية، والغرض به الجد، والمعنى في هذا عد من المفاخرة التي أنت تطلبها، فإنها مرتبة عالية سنية، ولكن عيشي عن أكلك الضب، كما هي عادتك، فهو يماثل التجاهل كما ترى، وأن كان بينهما تفرقة ظاهرة ٨٢/٣ .

(٢) الطراز ١٦١/٣، الزركشي : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٢، ٥٨/٤ .

(٣) الطراز ١٦٢/٣ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ٤ / ٥٨ ... أفرد الزركشي بابا كاملا في الجزء الثاني من كتابه البرهان في علوم القرآن أسماه خطاب التهكم أورد فيه تعريفه اللغوي وهو من قوله تهكمت البئر أي تهدمت وأورد كثيرا من الآيات القرآنية بوصفها شاهدا على خطاب التهكم في القرآن منها

- " فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ "
- " هَذَا نُزُلُهمْ يَوْمَ الدِّيْنِ "
- " وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِيْنَ الضَّالِيْنَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيْمٍ " .
- " سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُوْنَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ " .
- " قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِيْنَ مِنْكُمْ " .
- " وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُوْمٍ " .

ويبدو أن الدكتور محمد العبد قد اعتمد على هذا الباب وأمثاله كالعلوي في الطراز في تحديد النصوص القرآنية التي اعتمد عليها في دراسته لمفارقة القرآنية، والدليل أن الرجل أورد كلام الزركشي في التهكم من دون ذكر الأمثلة التي أوردها كما سيأتي ذكره .

(٣) الطراز ١٦٢/٣ ويبدو التهكم هنا قريبا من ذكر الهجاء في معرض المدح، غير أن ابن حجة الحموي في خزانته فرق بينهما بقوله " والفرق بين الهجاء في معرض المدح والتهكم أن التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة توهم في فحواها الهجو، وألفاظ المدح في معرض الذم لا يقع فيها شيء من ذلك، ولا تزال تدل على ظاهر المدح، حتى يقترن بها ما يصرفها عنها. خزانة الأدب ص ١٤٧.

(٤) جوهر الكنز ص ٢٠٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤٠) تحرير التحبير ص ٦٤ .

(٤٢) الطراز ٣/ ٨٠ .

(٤٣) المفارقة والأدب ص ٢٣ .

(٤٤) فقد ورد هذان الشاهدان عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، وعند العلوي في الط
وعند أسامة بن منقذ في البديع في نقد الشعر باسم التجاهل، وعند أبي هلال في الصناعتين،
رشيق في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٦٦،
أسمى ابن رشيق بابه بالتشكيك وليس تجاهل العارف. كما أن أبا هلال أطلق عليه " تجاهل العار
ومزج الشك باليقين " وقد علق ابن رشيق على البيتين بقوله " فأنت ترى كيف موقع الشك من اليقين
وكيف حلاوته في الصدر وقبوله فإنه لو كان يقينا ما بلغ هذا المبلغ " العمدة ٢/٦٦ .

(٤٥) المفارقة والأدب ص ٢٣ .

(٤٦) وقد أورد دكتور : ناصر شبانة هذه الفنون في معرض حديثه عن المفارقة في التراث العربي ص ٣٤ وما بعدها .

(٤٧) ومن ثم يمكن عد فن " التورية " واحدا من الفنون التي تقوم فكرتها الأساسية على المفارقة؛ لكون الدال فيها له مدلولان أحدهما مقصود والأخر غير مقصود .

(٤٨) تعد هذه الرؤية للتوظيف الفني في القرآن الكريم الأساس الذي قامت عليه العديد من الدراسات النقدية التي اتخذت من النص القرآني المقدس مادة لها ومنها على سبيل التمثيل ــ لا الحصر ــ دراسات سيد قطب : نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط ٩، (د: ت) ... محمد خلف الله أحمد : الفن القصصي في القرآن .... السيد عبد الحافظ عبد ربه : بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧٢ .... أحمد موسى سالم : قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٨ ....دكتور : القصبي محمود زلط : قضايا التكرار في القصص القرآني، دار الأنصار، القاهرة، ط ١، ١٩٧٨ ... أحمد أبو السعد : فن القصة في القرآن .... بكري شيخ أمين : **التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢،** ١٩٧٦ ..... محمد كامل حسن : القرآن **والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ط ١، (د: ت)** .... وغيرهم كثير .

(٤٩) التصوير الفني في القرآن، ص ١١٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥) ينظر : قضايا التكرار في القصص القرآني، ص ١٥، التصوير الفني في القرآن، ص ١٤٤، التعبير الفني في القرآن، ص ٢١٧، بحوث في قصص القرآن، ص ٥٤، ... وغيرها .

(٥٠) ينظر السابق ص ١١٩ بتصرف .

(٥١) قام د. سي. ميومبك بإحصاء عدد غير قليل من الكتاب الذين يمكن أن يطلق عليهم " أصحاب المفارقة " وهم الكتاب الذين تقوم آثارهم أو القسم الأكبر منها على حس بالمفارقة ومن هؤلاء : إيسخليوس، وسوفوكليس، و يوريبيديس، و أريستوفانيس، و ثوسيديس، و أفلاطون، و هوراس، و شكسبير، و باسكال، و موليير، وراسين، و فولتير، و جوته، و ستندال، و بايرن، و دوستوفيسكي، و فوبير، و تولستوي، و مارك توين، و ....، ....، ..... وغيرهم . المفارقة ص ٨ .

(٥٢) د : محمد العبد : المفارقة القرآنية، دراسة في البنية والدلالة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٤، ص ٧.

(٥٤) السابق ١٢، ١٣ .

(٥٥) السابق ١٢، ١٣ .

(٥٦) السابق ٥١ .

(٥٧) السابق ١٤١ .

(٥٨) السابق ١٦١.

(٥٩) السابق ١٦٥ .

(٦٠) ويعد إيرادنا لطريقة تحليل هذا النص نموذجا لطريقة التحليل للنصوص التي تناولها في كتابه .

(٦١) عن عكرمة قال : هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون ولا يطعمون مسكينا . جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨، ٢٨ / ١٨ .

(٦٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩، ٣٦٦/٤ .

(٦٣) لا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلا . الطبري : جامع البيان، ١٩/٢٨ .

(٦٤) قال ابن عباس : صارت الجنة كالليل الأسود، وقال الثوري والسدي : مثل الزرع إذا حصد أي هشيما يبسا، وقد قيل إنها احترقت وصارت سوداء كسواد الليل . تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٤ . جامع البيان ٢٠/٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٦٥) والحسبان هو المطر العظيم الذي يقلع الزرع والشجر . تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٤ .

(٦٦) السابق ٧٣/٣ .

(٦٧) السابق ٧٣/٣ .

(٦٨) السابق ٧٣/٣.

(٦٩) يذكر المفسرون أن عظام الحمار كانت متفرقة حوله يمينا ويسارا، فنظر إليها وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع، ثم ركب كل عظم في موضعه، حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحما وعصبا وجلدا، ثم بث فيها الروح فنهق الحمار . تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٦٧ .

(٧٠) غير أن الأب لما كان نبيا فقد أحس بحس النبوة فيه أن أولاده يكيدون له ويحاولون إيقاعه في هذا الأمر ويبدو أن هذا الصنيع لم يرج على نبي الله يعقوب لأنه قال معرضا عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه " **بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُستَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** " ومن ثم يمكن توصيف هذه المفارقة بأنها مفارقة لم تتم، علة الرغم من أ، الرجل لم يتصرف بناء على هذا العلم اللدني بالأمور ولم يستثمر حدسه في الضغط على أولاده لإخباره بالحقيقة، إنما اكتفي بمجرد الصبر والبكاء على الغلام الحبيب .

(٧١) وكانت هذه شريعة إبراهيم أن السارق يدفع إلى المسروق منه .تفسير القرآن العظيم، ٤/٢ .

(٧٢) وقد ورد في سورة طه قوله " **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا** " طه ٤٠ .

(٧٣) ابن كثير قصص الأنبياء ، تحقيق د : عبد الحي الفرماوي، دار البقين، دار طيبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٦١٨ وتفسير القرآن العظيم، ص ٤٦٩ .

(٧٤) وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه **أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ** صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨، حديث رقم ٤٣٨٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧٩) تحـوي تكملـة القصة هذا الدرس حيث يروى أن عصفورا وقع على حرف السفينة التي كانا قد ركباها ونقر في البحر نقرة فقال الخضر : يا موسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما أنقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر السابق ح ٤٣٨٦ .

(٨٠) يذهب المفسرون إلى أن بلقيس كانت صاحبة ثبات وعقل ولها لب ودهاء وحزم فلم تقدم على أنه هو لبعد المسافة بين بلادها وبلاد سليمان، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير وبدل، فقالت " كأنه هو " أي يشبهه ويقاربه، وهذا غاية الذكاء والحزم . السابق ٣/ ٣٤٢ .

(٨١) ورد فـي قصص الأنبياء أن الجن لم تعلم بالحقيقة إلا بعد أن أكلت أرضة الأرض العصاة فسقط سليمان على الأرض، ٣/ ٤٩٣ .

(٨٢) المفارقة والأدب ٩٣، ٩٤ .

(٨٣) السابق ص ٩٨.

(٨٤) للاسـتزادة ينظر : ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، جـ١، ص ٥٥ وما بعدها .

(٨٥) وردت قـصة إبلـيس في القرآن في المواضع الآتية البقرة ٣٠ : ٣٨، الأعراف ١١ : ٢٥، الحجر ٢٨ : ٥٠، الإسراء ٦١ : ٦٥، طه ١١٥ : ١٢٣، ص ٧١ : ٨٨ .

(٨٦) للاستزادة ينظر : دكتور السيد رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن، دار المعارف، (د : ت) ص ٤٥ وما بعدها، صابر طعيمة : بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٧٥، ص ٢٥٣، ومـا بعـدها، عفيف عبد الرحمن طبارة، اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦٤ . محمود بن الشريف : الشعب الملعون في القرآن، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٧، ص ١٧، وما بعدها ..... وغيرها كثير .

(٨٧) قصص الأنبياء ص ٣٠٤.

(٨٨) وقـد مثل خالد سليمان لهذه البنية التفارقية المركبة بمسرحية طقوس الإشارات والتحولات لسعد الله ونوس حيث جاءت الشخصيات فيها تفارقية، وجاءت الأحداث معتمدة كذلك على المفارقة ينظر المفارقة والأدب ص ٩٧ وما بعدها .

(٨٩) وردت قـصة سحرة فرعون في سورة طه ٦٠ " ٦٤، والشعراء ٢٩ : ٥١، و يونس ٧٥ : ٨٢، و الأعراف ١٠٣ : ١٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٨٠) يوضح إحصاء القصص القرآني الوارد في القرآن أنه قد ورد فيه القصص التالية (قصة آدم ، قصة نوح وقصة ابني آدم وقصة إبراهيم وقصة لوط وقصة العزير وقصة هود وقصة صالح وقصة شعيب وقصة يونس وقصة يعقوب وقصة زكريا وقصة موسى وقصة داوود وقصة سليمان وقصة أيوب وقصة يوسف وقصة مريم وقصة عيسى وقصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين وقصة لقمان وقصة سبأ وقصة قوم يس وقصة أصحاب الجنة وقصة أصحاب الحجر وقصة أصحاب الأخدود وقصة أصحاب الفيل وقصة الكافر بآيات الله وقصة الجن مع القرآن وقصة المعراج وقصة الهجرة وقصة غزوة بدر وقصة غزوة أحد وقصة غزوة الأحزاب وقصة غزوة حنين وقصة زيد بن حارثة) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner